بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة السّودان المفتوحة

البرنامج التأسيسي

مصادر المعرفة الإسلامية

رمز المقرر ورقمه: 0103

إعداد المادة العلمية: د. **عبد الله محمد الأمين النعيم**

د. **جمال عبد العزيز الشريف**

تصميم تعليمي: أ. **الصادق آدم عمر**

تدقيق لغوي: د. **عثمان عوض السيد محمد**

التنضيد الطباعي: **ندى عبد الرحمن**

التصميم الفني: د. **سعاد عبد الرحيم البشير**

منى عثمان أحمد النقة

منشورات جامعة السودان المفتوحة – الطبعة الثانية2004

جميع الحقوق محفوظة لجامعة السودان المفتوحة، لا يجوز إعادة إنتاج أيّ جزء من هذا الكتاب، وبأيّ وجه من الوجوه، إلاّ بعد الموافقة المكتوبة من الجامعة.

محتويات المقرر

الموضوع	الصفحة
مقدمة المقرر	**ج**
الوحدة الأولى: الأزمة المعرفية	**1**
الوحدة الثانية: نظرية المعرفة بين النموذجين الإسلامي والغربي	**43**
الوحدة الثالثة: الوحي مصدراً للمعرفة	**84**
الوحدة الرابعة: الكون مصدراً للمعرفة	**138**

مقدمة المقرر

الحمد لله الذي أنعم علينا بوسائل الهداية، والصلاة والسلام على النبي الأمي الذي كانت بعثته رحمة العالمين. وبعد

تعتبر قضية المعرفة من القضايا المحورية في الفكر الإنساني عموماً، وقد أهتم علماء المسلمين بها وجعلوا مناقشتها مداخل لكتبهم ومصنفاتهم وذلك لإيمانهم العميق بأهميتها وضرورة النظر فيها والوقوف عندها ثم أولاها الفكر الغربي عناية كبيرة واهتماماً بالغاً. إذ صارت تمثل ركيزة أساسية في البناء بصورة عامة.

والحق أنّ أهمية هذه القضية تكمن في أنها تشكل محوراً جوهرياً يبين من خلاله تحديد موقف الإنسان من القضية ومنهجه في الوصول إليها والمصادر التي تمكنه من ذلك.

ورغم أنّ مصادر المعرفة هي المرتكز والأساس في قضية المعرفة هذه، إلا أنه قد حدث فيها من الخلاف والنزاع بين العلماء واللاهوتيين في الفكر الغربي ما لم يحدث في سواه، فكانت ثمرة هذا النزاع وعقب هذا الخلاف أن أُقصى الوحي عن مضمار المعرفة فأفضى ذلك إلى انعكاسات خطيرة، ليست على العلم وحده وإنما على الحياة بأسرها فظهر الفساد في البر والبحر.

ولقد تأثر العالم الإسلامي بنظرية المعرفة الغربية ومصادرها وذلك من خلال استيراد النموذج الغربي وإستنباته في التربة الإسلامية التي هي غير صالحة ولا مناسبة لهذا النموذج الذي غرس فيها غرساً وانعكس ذلك على الواقع الإسلامي فكانت النتيجة تخلفاً حضارياً وتبعية مزرية.

لقد بات من الوضوح بمكان ان البحث في مصادر المعرفة قضية جوهرية لا يمكن تجاهلها أو غض الطرف عنها عند كل من يروم إصلاح الواقع وتغييره إلى ما هو أحسن وأفضل ؛ ولما كان الأمر كذلك فقد كان من الضروري أن نولي مثل هذه الموضوعات حقها من العناية والرعاية ، ولهذا جاء هذا الكتاب والذي قسمت وحداته إلى الأتي :

الوحدة الأولى: الأزمة المعرفية

تناولت هذه الوحدة المعضلة الأساسية التي جعلت دراسة مصادر المعرفة أمراً لا يمكن إغفاله إطلاقاً وهي قضية الأزمة التي نشأت في الفكر الغربي كنتيجة حتمية لإقصاء الوحي عن مصادر المعرفة والتي نشأت عندنا لتبعيتنا للفكر الغربي من جهة وعدم إحساننا التعامل مع مصادر المعرفة الإسلامية " الوحي والكون" من جهة أخرى.

الوحدة الثانية: نظرية المعرفة بين النموذجين الإسلامي والغربي

تناولت هذه الوحدة المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها نظرية المعرفة " الإبستمولوجيا" ، ثم محاولة إيضاح الفوارق بين خصائص هذه المرتكزات في الفكر الغربي والفكر الإسلامي.

الوحدة الثالثة: مصدرية الوحي للمعرفة

عالجت هذه الوحدة قضية مصدرية الوحي للمعرفة من خلال ثلاثة محاور أساسية وهي مفهوم الوحي وأقسامه ثم خصائص الوحي التي تشكل دعامة معرفية كبرى للتعامل معه باعتباره الطبيعة والعلوم الاجتماعية والإنسانية.

الوحدة الرابعة : مصدرية الكون للمعرفة

عالجت هذه الوحدة قضية مصدرية الكون للمعرفة من خلال ثلاثة محاور أساسية وهي مفهوم الكون ثم خصائصه التي يجب معرفتها حتى يتم التعامل السليم معه في هذا المضمار ثم مصدرية الكون للعلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية والإنسانية.


الوحدة الأولى
الأزمة المعرفية

محتويات الوحدة

الموضوع	الصفحة
– المقدمة	**4**
– تمهيد	4
– أهداف الوحدة	5
1. أزمة المعرفة الغربية	**6**
1.1 الجذور التاريخية للأزمة	7
2.1 جوهر الأزمة الغربية	11
2. أزمة المعرفة الإسلامية	**18**
1.2 المرتكزات المعرفية للتصور الإسلامي	18
1.1.2 وحدة الخلق ووحدة الخالق	19
2.1.2 وحدة الحقيقة ووحدة المعرفة	19
2.2 الجذور التاريخية للأزمة الفكرية	21
3.2 جوهر الأزمة	22
3. حلول الأزمة المعرفية الاسلامية	**26**
4. نموذج لمحاولات الاصلاح المعرفي	**30**
1.4 بناء النظام المعرفي الاسلامي	30
2.4 بناء المنهجية المعرفية القرآنية	31
3.4 بناء منهج التعامل مع القرءآن	31
4.4 بناء منهج التعامل مع السنة النبوية	31
5.4 قراءة التراث الإسلامي قراءة سليمة	32

5. التعامل مع التراث الغربي	34
الخلاصة	37
لمحة مسبقة عن الوحدة التالية	38
إجابات التدريبات	38
المصادر والمراجع	41

المقدمة

تمهيد

عزيزي الدارس، مرحباً بك إلي الوحدة الأولى من مقرر" مصادر المعرفة الإسلامية، وهي بعنوان" الأزمة المعرفية ". سنعرض فيها المشكلات المستجدة في العالم المعاصر من قبيل المشكلة البيئية " الايكولوجية ".

ولأن من الناس من يؤمن بالله، ومنهم من يتخذ إلهه هواه فقد رأينا أن نبدأ مقررنا هذا بالأزمة المعرفية، والتعرف عليها من جذورها حتى تكون مفتاحاً للدارس، ومساعدة له لفهم " مصادر المعرفة الإسلامية ". وتحدثنا تحت عنوان هذه الوحدة عن الآتي:-

أزمة المعرفة الغربية والجذور التأريخية للأزمة، وجوهر الأزمة الغربية. وكذلك تحدثنا عن أزمة المعرفة الإسلامية حتى يصبح الدارس قادراً على المقارنة بين أزمة المعرفة الغربية وأزمة المعرفة الإسلامية، وتطرقنا للحلول التي اقترحها العلماء لأزمة المعرفة الإسلامية.

وأوردنا لك-عزيزي الدارس- مجموعة تدريبات تهدف إلي إثارة العقل لإكتساب مجموعة من المفاهيم العلمية لمصادر المعرفة الإسلامية كما وضعنا لك عزيزي الدارس أسئلة تقويمية عليك الإجابة عنها من خلال معلوماتك التي ستحصل عليها من دراستك المتأنية لموضوع هذه الوحدة. متمنين لك قراءة موفقة وتحصيلاً جيداً ونجاحاً باهراً.

أهداف الوحدة



عزيزي الدارس، بعد دراسة هذه الوحدة ينبغي أن تكون قادراً على أن :

- تتعرف على الأزمة المعرفية الغربية.
- تناقش الجذور التأريخية للأزمة.
- توضح جوهر الأزمة الغربية.
- تقارن بين أزمة المعرفية الإسلامية والغربية.
- تفسر جوهر الأزمة المعرفية والإسلامية.
- تقدر جهود العلماء في وضع حلول لأزمة المعرفة الإسلامية.

1. أزمة المعرفة الغربية

عزيزي الدارس، إن التعرف على أزمة المعرفة الغربية يكمن في الوقوف على المشكلات المستجدة في العالم المعاصر؛ من قبيل المشكلة البيئية " الايكولوجية" واستنفاد الموارد ومصادر الطاقة المخزونة وتراكم النفايات ومشروع الجينوم البشري وأخلاقيات الاستنساخ البشرى، والتحكُّم في الصفات الوراثية للإنسان، والتعاظم المتوالي لأسلحة الدمار الشامل، والحروب المهلكة للحرث والنسل، وبروز فلسفة النهايات؛ " نهاية التأريخ ، نهاية الحداثة ،... الخ " وفلسفة صراع الحضارات وغيرها من المشكلات التي واجهت البشرية، وتواجهها الآن. تعكس أزمة معرفية نتيجة للتوليد والتوجيه الخاطئ للمعرفة الإنسانية ذلك أنّ صواب الفكر شرط لصواب العمل وصواب الفكر رهين بصحة مصادره.والقرءآن الكريم يؤكِّد أنّ ظهور الفساد إنما هو نتيجة للسلوك الإنساني غير الراشد ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ ﴾ (الروم 41)

فقد خلق الله الإنسان وكرَّمه، وأنزله إلى الأرض لعمارتها وعبادته، وسخّر له موجودات الكون لتعينه في أداء مهمته، وجعل الفساد في الأرض نقيضاً للإصلاح﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (المائدة ٦٤)

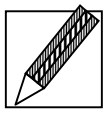
.وإنّ من المعلوم أنّ الله سبحانه وتعالى أرسل الرُّسل وأنزل معهم الكتب لإصلاح أحوال الناس وإرشادهم لما فيه مصالحهم في المعاش والمعاد، غير أنّ الناس فيهم المعاند الذي لم يقبل هدياً وفيهم المنحرف الذي تنكّب عن الطريق فانساقوا تبعاً لأهوائهم. لكن الإنسان مهما عاند وتكبرّ فإن فطرة الإيمان بالإله العلي الكبير مغروسة في طبعه، وفي ذلك يقول الله المتعال﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗا ﴾ (النمل ١٤)

ولأنّ من الناس من يؤمن بالله ومنهم من يتخذ إلهه هواه، فإنه تبعاً لذلك انقسمت معارفهم ونظمهم المعرفية إلي منظومات تتحكَّم في العالم وفقاً لمنطق التدافع وهي:

1- منظومة علمانية تتعامل مع عالم الشَّهادة وملغيه لعالم الغيب، وتجسَّدها الآن الفلسفة الغربية الوضعية.

2- ومنظومة إسلامية تتعامل مع عالمي الغيب والشهادة. لكن الواقع الإسلامي المعيش يعكس خللاً في الممارسة العملية حيث صارت المنظومة الإسلامية منكفئة على ذاتها، ومهملة لمهمتها الأساسية في إصلاح العالم؛ وعمارة الكون وتحقيقاً للشهود الحضاري.

تدريب(1)



1- **عزيزي الدارس،** تحدث عن الغاية التي من أجلها خلق الله الإنسان.

2- ما المنظومة التي تجسدها الفلسفة الغربية الوضعية؟

3- ما الفرق بين عالم الشهادة وعالم الغيب؟

أسئلة تقويم ذاتي



ماذا نقصد بعبارة. صواب الفكر شرط لصواب العمل وصواب الفكر رهين بصحة مصادره

1.1 الجذور التاريخية للأزمة

ظلّت الكنيسة الغربية مهيمنة على كل مجالات الحياة في أوربا، وكان أسلوبها في التفكير يتجه اتجاهاً معاكساً للحقيقة والواقع، حيث ظل موغلاً في تصور ديني مال إلى تأليه المسيح عيسى عليه السلام، والقول بعقيدة التثليث والحلولية والتجسيد؛ وكان ذلك بتأثير النزعات الإلحادية والأفكار الأفلاطونية. ومن الثابت تأريخياً أنّ المجمع المسكوني الذي انعقد في مجمع نيقية عام 325م لم يحترم تصور الوحدانية الذي مثله آريوس، وهو تصوّر سيدنا عيسى والحواريين الأوائل،

فأصدر ذلك المجمع دستوراً ملزماً بشأن مسألة التثليث، وصار ذلك عقيدة، وأهمّ سر من أسرار المسيحية (1). كيف مارست الكنيسة إضطهاداً للأسلوب العلمي في التفكير ؟

حيث احتكرت وحدها مجال التفكير وحرّمت كل تفكير يخالف تقاليد البابوية ، وشدّدت من قبضتها بتحالفها مع السلطة السَّياسية " النظام الإقطاعي" وصار كُلُ منهما يخدم الآخر ، فالكنيسة تقدَّم الأبنية الفكرية التي تحتم على الناس أن يصوغوا وفقها سلوكهم وأساليب تفكيرهم، والنظام الإقطاعي العسكري يقدَّم التغطية الأمنية اللازمة لتنفيذ قرارات الكنيسة.

ولقد أدرك المفكرون المناهضون للكنيسة أنّه لا بد من مناهضة هذين النظامين ؛الكنسي والإقطاعي. ولقد تدخلت عوامل عديدة لتوجيه الصراع لصالح هؤلاء المفكرين، كان من ضمنها دخول العلوم الإسلامية خلال القرنين "الحادي عشر والثاني عشر للميلاد" إلى الدُّول الأوربية، وقيام طبقة صناعية مناهضة للإقطاعيين. وكان من ضمن تلك العلوم الإسلامية، العلوم التجريبية القائمة على منهج الاستقراء والملاحظة.ولقد أثّر دخول منهج البحث التجريبي لأوربا على أساليب التفكير اللاهوتي التي كانت غارقة في التفكير النظري، والتجريد الميتافزيقي. وكانت هذه المرحلة التاريخية مرحلة تحوُّل حاسمة أمتد أثرها إلى كل الدول الأوربية وشكّل نواة الثورة العلمية الغربية ووجّه العقول تجاه المعرفة العلمية الحقة (2).ما هي السمة المميزة في تاريخ الفكرالغربي القديم التي مازالت آثارها باقية حتى الآن؟ هي وجود صراع بين العلم والديِّن. وقد انتهى هذا الصراع بإقصاء الديِّن والتفكير "الدَّيني" عن مجالات الحياة، وحصره داخل جدران المعابد؛ وطرده من مجال النظر العقلي. وعندما حلّ القرن الثامن عشر كان الفكر الغربي قد قطع أعظم الأشواط في التحرُّر من الفكر الدَّيني حتى أُطلق على هذا القرن عصر التنوير.ولم يكن يقصد بالتنوير سوى إبعاد الديِّن" الوحي"عن التوجيه، وأهمّ ميزة اختص بها عصر التنوير هي الإيمان بقدرة العقل على فهم الكون واستيعابه وإخضاعه لحاجات الإنسان.

---

(1) عرفان عبد الحميد فتّاح : المرتكزات الأساسية التي حفظت للأمة كيانها، مجلة التجديد ، العدد"2" ، الجامعة الإسلامية ، ماليزيا 1997،ص 39.

(2) محمد محمد امزيان : منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية ، ص 34-37.

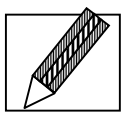
عزيزي الدارس،هنالك مبادئ انطلقت منها النهضة الأوربية وانتهت إليها هي:

1- الإيمان العميق بالعالم الطبيعي على أنّه العالم الوحيد الذي يسعد فيه الإنسان ويجد فيه مطالبه ويلبي حاجاته المادية والرُّوحية.

2- الإيمان العميق بالإنسان على أنه مركز الثقل في العالم والعامل الفعّال في التطور الاجتماعي والإبداع.

الإيمان بالعقل وحده على أنَّه الوسيلة الوحيدة التي تضمن السيطرة علىالعالم وتسخير إمكاناته بالاعتماد على العلم وحده، فالنظرة المادية إلى الكون والإنسان هي سمة الفكر الغربي وهي السِّمة التي عملت الفلسفة الوضعية على ترسيخها بطريقة علمية للوصول إلى مشروعية التصورات المادية للعالم.

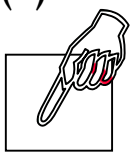
تدريب (2)



1- ما الذي يقصد بعصر التنوير ؟

2- عملت الفلسفة الوضعية على ترسيخ سمة من سمات الفكر الغربي بطريقة علمية، تحدث عن هذه السمة الوضعية؟

نشاط (1)



أخي الدارس، أرى من المفيد أن تقرأ – مجلة التجديد العدد الثاني التي تصدر من الجامعة الإسلامية،أي تاريخ؟ ماليزيا- مقال(الحلولية والتوحيد والعلمنة الشاملة للكاتب- عبد الوهاب المسيري، 1997 فيما يتعلق بالعلمانية.

عزيزي الدارس؛ إن الإنسان الغربي الذي تشبَّع بهذه المنطلقات الفكرية ينبغي أن يبحث عن كل شيء في محيطه الاجتماعي ؛ قيمه وأخلاقه التي يدين بها. إنّ الإنسان ملتزم ومقيَّد بقواعد أخلاقه، ولكن صانع القيد هو وجوده المادي نفسه. وهكذا فمع نهاية القرن الثامن عشر كانت

ملامح العلمانية واضحة ومتغلبة على الاتجاهات الكنسية وبدأت تبسط سلطانها على المرافق التي تشغلها الكنيسة.

➢ **تنبيه**

تنقسم العلمانية إلي نوعين:

-العلمانية الجزئية وهي تعنى فصل الدين عن الدَّولة أي فصل المؤسسات الدِّينية عن المؤسسات السيِّاسية.

-العلمانية الشاملة هي رؤية واحدية شاملة في إطار المرجعية الكامنة المادية ترد الكون بأسره إلي مبدأ واحد كامن فيه ومن ثم فهي لا تفرق بين الإنسان والطبيعة بل تراهما مادة واحدة نسبية لا قداسة لها خاضعة للقانون الطبيعي نفسه، ومن ثم يمكن إخضاعها للمقاييس الكمية الرياضية دون الرجوع إلي أية قيم مطلقة لزيادة التحكم فيها وتوظيفها، أي أنها رؤية تستبعد الإنسان المركب الرباني، وتستبعد أيضاً مقدرته على تجاوز ذاته الطبيعية ليحل محله الإنسان الطبيعي المادي ذو البعد الواحد.

- أنظر عبد الوهاب المسيري: الحلولية والتوحيد والعلمنة الشاملة ، مجلة التجديد ، العدد الثاني ، الجامعة الإسلامية ، ماليزيا ، يوليو 1997م، ص 10-11.

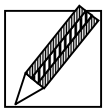
-والواقع أنّ الفكر في عصر النهضة اتسم بنزعة شديدة العداء للسلطة الدِّينية، كما اتسم برغبة جامحة في الخلاص بكل السُّبل من الخضوع للقيادة الفكرية، والعلمية لتلك السُّلطة الدِّينية.ولهذا فلم يكن هناك مفرٌّ من البحث عن مصدر للحقيقة يكون بديلاً للسُّلطة الدِّينية، وكلما كان ذلك المصدر مناوئاً ونقيضاً للمصدر الدِّيني كلما كان ذلك أفضل، ولم يكن هناك من مصدر أفضل من التركيز على الخبرة الإنسانية، واستخدام الحواس كأساس للمعرفة العلمية الحقة. فاعتماد الحواس يحرِّر النَّاس ويعطيهم قيمتهم؛ والحس يقلَّل إلى أقصى حد من قيمة المصدر الدَّيني. ولقد كان للسير فرانسيس بيكون أثر بارز في توجيه العلم للاقتصار على الخبرة الحسِّية، وتأسيس الإتجاه الحسي "Empiricism". ويقابل هذا الاتجاه العقلاني "Rationalism" الذي يقلَّل من شأن الحس وكان رينيه ديكارت مؤسساً لهذا الاتجاه [1].

---

[1] امزيان : مصدر سابق ، 65-66.

وكان من نتائج هذا الصراع أن نشأت أزمة معرفية ظهرت واضحة للعيان في مناهج العلوم، وأثّرت بدورها على مجمل أوجه ومجالات الحياة، ذلك إنّ إقصاء الوحي من توجيه المعرفة أدى لانحصار المعرفة في مجال العالم المشاهد، وطبع المعرفة بطابع الظنية والنسبية لأن المعرفة كانت معرفة بشرية قاصرة عن إدراك ما وراء الحواس.

تدريب(3)



إلي أي شيء أدى إقصاء الوحي؛ من مصادر المعرفة عند الغرب

أسئلة تقويم ذاتي



ما الذي اتسم به الفكر في عصر النهضة ؟

كانت نتائج الصراع أن نشأت أزمة معرفية واضحة للعيان في مناهج العلوم

تحدث عن تأثير نتائج الصراع ؟

2.1 جوهر الأزمة الغربية

عزيزي الدارس، ألمحنا فيما سبق لعموميات الأزمة، وسوف نتحدث هنا بشيء من التفصيل، فقد كانت المعرفة الغربية في مرحلة سيادة الكنيسة معرفة مستمدة من الوحي رغم ما اعترى الوحي المسيحي من تشوهات.

➢ **تنبيه**

يتفق معظم الباحثين على غموض تعريف الوحي وتعقد عقيدة اللاهوت المسيحي التي تعدّ جوهر الوحي. فالوحي وفقاً للكاثوليك يمنحه الرب باستمرار للكنيسة تحت قيادة القديسين وهؤلاء القديسين قُبلت معتقداتهم على أنها جزء من الوحي الإلهي، فهم بذلك يعتبرون مراجع معرفية. وللبروتستانت تعاريفهم الخاصة ولغيرهم من الجماعات المسيحية تعاريفهم، انظر : أحمد داود

أوغلو: النماذج المعرفية الإسلامية والغربية، مجلة إسلامية المعرفة، ع (22) ص11 –14.
وأنظر كذلك تعقيب د. عرفان عبد الحميد على هذا البحث في :

- د. فتحي حسن ملكاوي : نحو نظام معرفي إسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن 2000م،ص147–148.

وكان من نتائج الصراع بين الكنيسة والعلماء أن تحولت المعرفة إلى معرفة بشرية خالصة ومحصورة في الواقع المشاهد ، فالمحسوس والمشاهد الذي يخضع للاستقراء والتجربة والقياس الكمي وحده العلم، وما عداه؛ أي كل ما لا يخضع للاستقراء والتجربة والقياس الكمي– يعتبر لا علم، وتعتبر قضاياه بلا معنى "Meaningless". وهذه هي الرُّوح العلمية التي بلورها "بيكون"، حيث الاقتصار على ما هو موضوع أمامنا في العالم الواقعي التجريبي، والإنصات لشهادة الحواس كمصدر للمعرفة. والطبيعة هي مملكة المعرفة ويجب الحيلولة دون أن يتجاوزها العقل. وعلى مدار العصر الحديث تبارى الفلاسفة الإنجليز في تأكيد التجريبية، والنظرية الحسية في المعرفة والعزوف عن الميتافزيقيا. وقد بلغت هذه النزعة الذروة مع جون لوك "1632–1704"، الذي رفض الادعاء بوجود أفكار مفطورة في العقل البشري ترتكز عليها المذاهب العقلية المقابلة للتجربة. وقد أكّد جون لوك أنّ العقل يولد صفحة بيضاء ثم تخطُّها المعطيات الحسَّية والتجربة(1)، وهذا هو منطلق الفلسفة الوضعية "Positivism" وأساسها.

وهكذا فإنّ الظروف التاريخية والثقافية والاجتماعية التي نشأ في ظلها العلم الأوربي الحديث وتطوّر، قد أدت في النهاية إلى صياغة "الابستمولوجيا"؛ نظرية المعرفة " التقليدية في اتجاهات تنأى بالعلم عن أن يكون له أدنى صلة بالتصورات الدَّينية ، اتجاهات تحصر اهتمام العلم في الظواهر التي يمكن مشاهدتها بالحواس، والتي تتوقف بالتالي عند دراسة ما هو كائن وواقع دون إعطاء أي مشروعية علمية لتقويم هذا الواقع (1). عزيزي الدارس، مما سبق يمكن أن نلخص جوهر الأزمة المعرفية الغربية في الآتي :

---

(1) د. عبد الله محمد الأمين : قراءة في فلسفة العلم في القرن العشرين ، تفكُّر ، م (5) ع (1)، ص 144–145.

(1) ابراهيم رجب: التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، ص 109..

1- إنّ مفهوم العلم كما بلورته الفلسفة الغربية صار ينظر إليه من زاوية أكثر محدودية، حيث صار مفهوم العلم هو " المعرفة المصنفة التي تمّ التوصل إليها باتباع قواعد المنهج العلمي، مصاغة في قوانين عامة للظواهر الفردية المتفرقة ". وهذا العلم يقوم على الاستقراء الذي يعتمد على الملاحظة ووضع الفروض؛ وإجراء التجارب للتحقق من صحة الفروض، وعلى هذا فقد أصبح العلم – عندهم – يقتصر على دراسة ما يعرف بالواقع المحسوس أو الواقع الامبيريقي، أي الظواهر التي يمكن إدراكها بالحواس.

أما عن المنهج فإنّه يركّز بصفة أساسية على الاستقراء، ومعنى هذا أنّ موضوعات الدراسة التي تتصل بقطاعات أخرى من الظواهر تخرج عن نطاق المشاهدة الحسية مهما كانت أهميتها لسعادة الإنسان، فإنّها مستبعدة تماماً عند علماء العصر الحديث من نطاق الدراسة العلمية، وكأنّ عالم المحسوسات هو وحده الذي له وجود حقيقي(2).

2-إن اعتماد النموذج التطبيقي – القائم على منهج الاستقراء- في مناهج البحث قد حقّق نجاحاً باهراً في مجال العلوم الطبيعية، وذلك بسبب تعامل هذه العلوم مع ظواهر ذات طبيعة بسيطة التكوين، حيث تقوم على استقراء الظواهر الجزئية المحسوسة وصولاً إلى تعميمات تصدق في كل زمان ومكان بعد ثبوت مطابقتها للواقع المحسوس. وتمّ استبعاد كامل للقيم الرُّوحية والدينية أي عدم وجود السياج الأخلاقي. وهو ما أدى إلى حدوث آثار هدّامة لم تعد فقط على العلم ذاته، ولكنها عادت بالوبال أيضاً على المجتمعات التي تستهدي بهذا النوع الرديء من العلم.

3- تمّ اعتبار النموذج الطبيعي سلطة مرجعية للعلوم الإنسانية والاجتماعية وذلك لتحقيق أكبر قدر من العلمية؛ على الرغم من أنّ الظواهر الإنسانية والاجتماعية ليست في واقعها وحقيقتها مظاهر حسية، فهناك جوانب غير مادية في الإنسان بما في ذلك تفكيره وغاياته وسلوكه، لا يمكن التعرُّف عليها عن طريق الملاحظة الداخلية، أي بفهم المعاني التي تعبِّر عنها هذه التصرفات وهي معاني نابعة من شعور الإنسان وإحساسه الداخلي.

---

(2) إبراهيم رجب : مصدر سابق، ص58-59.

4–تمّ استبعاد العوامل الرُّوحية والقيم من نطاق الدِّراسة وهي قضايا تشكِّل جزءً مهماً من نشاط الإنسان في تفكيره وثقافته وعاداته وتؤثِّر في توجيه سلوكه وتصرفاته. وبالتالي تم استبعاد ما يتولد عن هذا النشاط الإنساني من علوم؛ وهي علوم قيمية مرتبطة بقيم الإنسان ، وهي علوم عقائدية أيضاً مرتبطة بالأيديولوجيات التي ينتمي إليها.

5–زعمت نظريات العلوم الإنسانية والاجتماعية لنفسها حياداً قيمياً لم تلتزم به في الواقع، حيث تمّ تكريس قيم الثقافة الغالبة وجعلها المعيار الذي يقاس عليه كل تقييم إنساني، أو اتجهت إلى نسبية قيمية أضاعت كل تقييم، وهذا يؤكِّد وجود تحيز معرفي في تلك العلوم[1].

6–وانتهت الميثودولوجيا "المنهجية " الوضعية إلى إنكار وجود إله خارج الشعور الجماعي لأفراد المجتمع أو خارج شعور أفراد الإنسانية جمعاء، فضلاً عن الاعتراف بوجود موجودات عالم الغيب بما في ذلك اليوم الآخر، " إنّ العقل الذي يستطيع أن يتسلَّط على مشكلات الدين يستطيع أن يبين للناس أنه ليس هناك شياطين"[2].

7–والأهم من ذلك كله هو عدم الاعتراف بالوحي مصدراً للمعرفة، وهو العامل الأهم في فساد الفلسفة الوضعية، لأنها بإبعادها للوحي حصرت نفسها في الوجود المادي ولم ترَ وجوداً وراء هذا الكون المحسوس، فكرست سلطان الهوى على الأرض حيث لا إله والكون مادة، ولا غاية من ورائه إلا اتباع الهوى وإشباع الشهوات، وهي الغاية الكبرى التي من أجلها يجب أن يسعى الإنسان. وكان من جراء ذلك انتفاء الإحساس بوجود سلطة عليا يكون الإنسان مسؤولاً لديها عن تصرُّفه فيما بين يديه من بيئة. ولما كانت شهوات الإنسان وأمانيه

---

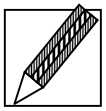
[1] راجع : عبد الوهاب المسيري "محرر": إشكالية التحيز ، رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1995م.

- ولمعرفة نقائص المنهجية الغربية راجع
- إسماعيل الفاروقي: صياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أمريكا 1995م.
- أمزيان: منهج البحث الاجتماعي
- إبراهيم رجب: التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية.

[2] كرين برينيتن: أفكار ورجال ، ص475 نقلاً عن أمريان، ص259.

لا حدود لها، وما تحويه البيئة في أي وقت من الأوقات ومكان من الأمكنة محدود بالنسبة إلى ما يتطلبه إشباع تلك الشهوات فقد صار العلم هو السلاح الذي انتهكت به حرمة البيئة ، وكانت التقنية هي سبيل هذا الإنسان الدنيوي لإحداث هذا الانتهاك حتى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس.. لقد كان سؤ استغلال العلوم الحديثة والتقنية التي أنجبتها وإفساد الأرض هو ثمرة طبيعية للفلسفة الوضعية التي لم تر للكون ولا للبيئة حرمة"[1].

تدريب(4)



ما الذي حققه النموذج التطبيقي القائم على منهج الاستقراء في مناهج البحث ؟

أسئلة تقويم ذاتي



1- تحدث عن ثمرة الفلسفة الوضعية في إفساد الأرض؟
2- أكتب عن أهم الأشياء لإفساد الفلسفة الوضعية.
3- ما الذي انتهت إليه الميثولوجيا " المنهجية" الوضعية؟

عزيزي الدارس، إن ما نخلص إليه من دراستنا لأزمة المعرفة الغربية والجذور التاريخية لها وجوهر الأزمة الغربية يتلخص في النقاط التالية:-

1- نتيجة لانحصار الفلسفة الغربية في دراسة الواقع المحسوس أو عالم الشهادة فقد تمركزت حول الذات الإنسانية والطبيعة، وأدى هذا إلى تأليه الإنسان والطبيعة حيث الإيمان العميق بالعالم الطبيعي على أنه العالم الوحيد الذي يسعد فيه الإنسان، ويجد فيه مطالبه ويلبي حاجاته المادية والروحية، والإيمان العميق بالإنسان على أنه مركز الثقل في العالم، والإيمان بالعقل وحده

[1] بروفيسور محمد الحسن بريمة: إسلام المعرفة لماذا، ص14.

على أنه الوسيلة الوحيدة التي تضمن السَّيطرة على العالم وتسخير إمكاناته بالاعتماد على العلم، والنتيجة هي شيوع العلمانية، والإلحاد والفوضوية، والشك والعدمية(2).

2- إن النجاحات التي حققها المنهج العلمي الوضعي قد انحصرت في مجال العلوم الطبيعية، غير أنّ هذا المنهج التقليدي قد فشل فشلاً ذريعاً في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، حيث سارت هذه العلوم في طريق مسدود لم تستطع تجاوزه في محاولاتها للتوصل إلى فهم واقعي للنفس الإنسانية. يشهد بذلك ما تعانيه تلك المجتمعات المتقدمة من مآسي إنسانية ومشكلات اجتماعية عميقة، يبدو ألاّ أمل في حلها من خلال المنظور السائد. وهذا سببه انحياز في النظرة التقليدية الغربية للعلم الذي حصر نفسه في عالم الشهادة وأهمل عالم الغيب بإهماله للوحي ومعارفه.

وقد احتج بعض العلماء الغربيين على مناهج المعرفة المعاصرة وذكروا أنه لا بد من طريقةٍ جديدة للمعرفة، ولا بد من معنى أوسع للعلم؛ إذ أنّ ملحد القرن التاسع عشر قد حرق البيت بدلاً من أن يعيد ترميمه، حيث رمى بجميع الأسئلة التي طرحها الدَّين، وأدار ظهره لكل مقررات الدِّين.لأنّ القائمين على الدِّين قد أتوا عليه بإجابات لا يستطيع قبولها.

ولكن اليوم وقد أصبح العالم أكثر معرفة واستنارة فقد أصبح واضحاً لديه. أنّ موضوعات البحث الدَّينية، ومباحث الدَّين والأسئلة التي يطرحها الدَّين حول النشأة والوجود والمصير قضايا علمية تستحق الاحترام الكامل، وهي قضايا عميقة الجذور في الطبيعة البشرية، ويمكن دراستها

---

(2) راجع:

- د. عرفان عبد الفتاح: نظرية المعرفة في القرءآن ، ضمن أبحاث ندوة النظام المعرفي الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن 10-1998/6/11م. منشور بمجلة إسلامية المعرفة ، العدد."15" المعهد العالمي 1999.

- د. عبد الوهاب المسيري : التوحيد والعلمنة الشاملة ، مجلة التجديد ، العدد الثاني ، ماليزيا.

وتمحيصها بأسلوب علمي رصين، وأنّ الكنيسة كانت تحاول الإجابة على أسئلة رفيعة وهي وإن أخطأت الإجابة فأنّ الأسئلة نفسها كانت تستحق القبول والتبرير الكاملين(1).

---

(1) راجع : ابراهام ماسلو : خطر الانشقاق بين العلم والدين ، ترجمة د. ماجد عرسان الكيلاني ، مجلة الأمة ، قطر ، ربيع الأول 1401هـ ، ص 19. وراجع للمترجم ، كتاب فلسفة التربية الإسلامية ، ص 254 وما بعدها.
وأنظر أيضاً :
Abraham Maslow :"Forward" in The Third force by Frank G.Globe.New York , pocket books 1970.
Harry Schofield : The philosohy of Education , London 1982,pp.16-63.
- Theodore Roszak : Where the Wasteland Ends , New York 1972, pp.152-164.

– على الرغم من رفض المنهج العلمي الغربي للمعرفة الدينية والغيبيات والميتافزيقيا إلاّ أن الوضعية ظلت غارقة في التأملات الميتافزيقية التي لا تقل خطراً عن خطر الفكر اللاهوتي الذي حاربته. يقول كارل ما نهايم " إنّ الفلسفة الوضعية ألزمت نفسها بأحكام ميتافزيقية وانطلوجية بالرغم من ادعائها بأنها تقف موقفاً معارضاً ضد التحيُّزات والمزاعم الميتافزيقية " [2]، حيث أنّها في سعيها لتأكيد نزعتها الواقعية والحسية المفرطة غضّت الطرف عن إدراك حقائق الوجود كما هي. فالوضعية لم تنكر الجانب الوضعي للإنسان، ولكنها رفضت الاعتراف بهذا الجانب كحقيقة موجودة مستقلة عن الواقع المادي الذي يمكن ملاحظته ، كما أنها لا تنكر القيم الرُّوحية والمعنوية والدينية، ولكنها لا ترى لهذه القيم وجوداً خارج المجتمع الإنساني نفسه ، فالعقل الوضعي لا يتصور وجود إله غير الإله الذي يظهر في صورة الإنسانية، وهذه هي النتيجة التي انتهت إليها الوضعية حيث انتهت إلى معتقدات لا تختلف كثيراً عن المعتقد اللاهوتي بل تتبنى كل خصائصه وأفكاره ومثله. ولم يشفع للوضعية بعد ذلك تعلُّقها بالعقائدية العلمية في مقابل العقائدية الدينية ما دامت النتيجة التي انتهت إليها واحدة(1).

والآن وقد وضحت لنا معالم الفلسفة الغربية التي تسيَّر الحضارة العالمية اليوم من خلال المدخل المعرفي، والذي يتحكم بدوره في كافة مناحي الحياة فإنّ التساؤل المشروع هو: هل هذه الفلسفة جديرة بالاحتذاء خاصة في العالم الإسلامي الذي لا يفتقر إلى العقيدة الموجَّهة له؟، لقد تمّ تطبيق قيم هذه الفلسفة الوضعية ومقولاتها في العالم الإسلامي فكانت سبباً من أسباب تخلفّه، فكيف حدث هذا ؟ هذا ما سوف نناقشه في المبحث التالي.

---

[2] كارل ما نهايم : الايديولوجيا والطوبائية ، مقدمة في علم اجتماع المعرفة ، ترجمة عبد الجليل الطاهر ، مطبعة الإرشاد بغداد 1968م ، ص 170 وأنظر : أمزيان ، مرجع سابق ، ص 8.

[1] حاولت الوضعية تأسيس دين وضعي بديل كما فعل أوجست كونت في كتابة " تعاليم الدين الوضعي" 1852م أنظر في ذلك : محمد عمارة : إسلامية المعرفة ما ذا تعنى ؟ سلسلة أقرأ ، دار المعارف ، الكتاب رقم "642" ، مصر، ص 95 وما بعدها وأنظر أمزيان ، مرجع سابق ، ص 81.

2. أزمة المعرفة الإسلامية

عزيـزي الـدارس ، بعـد أن درسـت أزمـة المعرفـة للفكـر الغربـي الآن سـندرس أزمـة المعرفـة الإسلامية

1.2 المرتكزات المعرفية للتصور الإسلامي

إنّ التَّصور هو الأساس الذي يقوم عليه البناء في كل عقيدة أو أي مذهب إيديولوجي، وهذا التصور يعكس نظرة العقيدة أو المذهب للوجود، والنظرة العامة للحياة والإنسان والكون والمصير. وتسمى هذه المكونات في الفلسفة بالأسئلة الكلية؛ أي التساؤلات عن الإله والإنسان والكون، وعلاقة كلٍ منها بالآخر والمبدأ والمصير. وحين الحديث عن مرتكزات التصور الإسلامي فإنه يبرز لنا الآتي[1]:

1.1.2 أحدية الخالق ووحدة الخلق

حيث أنّ وحدانية الله هي محور التصور الإسلامي، والإيمان بالله هو العامل الأهم في توجيه سلوك الإنسان، ووفقاً لهذا التصور فإنّ المسلم يؤمن بالله خالق هذا الوجود ومدبِّره، ويعرف اتصافه بالكمال وإطلاق الإرادة والتصرف ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾(الأعراف 54)

ويترتب على وحدانية الخالق وحدة الخلق، وأنّ الكون نظام واحد متكامل من صنعة خالق واحد، وأنّ النظام الكوني يتكون من قوانين الطبيعة التي ليست إلاّ سنن الله السارية في خلق الله المادي أو النفسي أو الاجتماعي أو الأخلاقي.

2.1.2 وحدة الحقيقة ووحدة المعرفة

---

[1] راجع في ذلك:

- سيد قطب : خصائص التصور الإسلامي، دار الشروق.
- إبراهيم رجب: مرجع سابق ، ص136-141.
- أحمد أوغلو : النماذج المعرفية ، مصدر سابق، ص19-25.
- أبو سليمان والفاروقي: إسلامية المعرفة ، ص75-117.

ويترتب على ما سبق أنّ العقل بما أودع الله فيه من قوة مدركة للمعاني والأسباب و"الوحي" الذي أرسل الله به رسله يتكاملان ويتكاتفان على فهم الغايات والأسباب وعلاقاتهما في هذا الوجود كما فطره الله وسخره.. فالوحي يوجِّه العقل لفهم كليات الكون على حقيقتها التي يعلمها الله ليقوم العقل بدوره في توجيه مدركات الحواس وإضفاء المعنى عليها.وبهذا يقوم في الإسلام نسق المعرفة الواحد لفهم الحقيقة الواحدة التي خلقها الله الواحد.

وبهذا يتضح أنّ الوجود قائم على عالمين هما :

1- عالم الغيب وهذا مصدره الوحي ومجال العقل فيه محدود.

2- عالم الشهادة وهذا يمكن فهمه عبر العقل، غير أنّ العقل لا بد له من الاستعانة بتوجيهات الوحي وإلاّ كانت النتيجة هي العلمانية. ذلك أنّ الكون "عالم الشهادة" في التصور الإسلامي مخلوق لله، وخلق من أجل غاية. فلم يخلقه الله عبثاً وإنما سخره لهذا للإنسان المخلوق المكرم ليعينه على تحقيق العبودية لله، وواجب الإنسان عمارة هذا الكون وعبادة الله. فإذا تعامل العقل مع الكون بعيداً عن هذه الغائية فإنّ النتيجة حتماً هي الإفساد بدلاً عن الإصلاح والإعمار.

عزيزي الدارس، إن مرتكزات التصور الإسلامي هي:

1- التوحيد الذي هو الدُّعامة الأساسية للتصور الإسلامي، وهو التصور الذي يقوم عليه البناء الإسلامي كله، وهو جوهر حضارة الإسلام فلا يمكن الحديث عن التصور الإسلامي بمعزل عن عقيدة التوحيد.

فإذا تقرَّرت وحدانية الله فإنّ تأليه الإنسان وتأليه الطبيعة مرفوضان قطعاً في التصور الإسلامي، ولا يمكن بناء أي نظرية إسلامية أو بناء مجتمع إسلامي وفقاً لعقائد الحلولية، إذ أنّ ذلك يعني فشل المشروع كما هو حاصل الآن؛ حيث أنّ فشل مشاريع الأمة وتخلُّفها راجع في الأساس لتبنِّيها للنموذج العلماني ومقولاته ومقوماته المستندة إلى عقيدة الحلولية بما فيها من تأليه للإنسان والطبيعة.

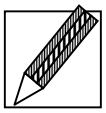
2- الإنسان والكون مخلوقان لله تعالى، والإنسان مطلوب منه عمارة هذا الكون ليعينه على تكاليف العبادة، والكون مسخر لهذا الإنسان. فعلاقة الإنسان بالله تعالى علاقة عبادة، وعلاقة

الإنسان بالكون علاقة تسخير. وهذا الكون مصدر معرفة للإنسان، لذلك كانت الدَّعوة للتفكُّر والتدبُّر والتفقه والنظر في ملكوت الله باعتبار أن ذلك يمثِّل مدخلاً للإيمان بالله تعالى.

3- إنّ الإنسان مكَّلف ومسؤول عن أعماله، وإنه محاسب على أعماله الدنيوية في اليوم الآخر، وهذا الحساب يقتضيه العدل الإلهي. وعلى هذا فإنّ الوجود ليس محصوراً في عالم الشهادة وحده بل أنّ هناك عالماً آخر هو عالم الغيب، وإنّ عدم الاعتراف بعالم الغيب معناه نفي وجود الخالق وإذا انتفى وجود الخالق، فإنّ البديل هو الفوضوية والعبثية والعدمية كما هو ظاهر للعيان في الفلسفات الغربية التي لم تعترف بوجود إله غير الإنسان أو الطبيعة.

إنّ هذا التصور الإسلامي يعكس تمايزاً بين عالم التنزيه "الألوهية" وعالم الخلق "الكون وموجوداته". وهذا ما لم تتنبه له الفلسفات الغربية. حيث لا يوجد هذا التمايز، ومن ثمّ فقد حدث الخلل الذي أدى لأزمة الحضارة الغربية. ووجود هذا التمايز وفهم المسلمين الأوائل له هو الذي أدّى إلى سيادة الحضارة الإسلامية لقرون طويلة على العالم شرقيه وغربيه، بل ساهمت في بروز عصر النهضة الأوربية من خلال نزعتها التجريبية، وهي نزعة كرّسها مفهوم عمارة الكون. ولم يبدأ التحلُّل والتآكل في الحضارة الإسلامية إلاّ بعد أن انعدم هذا التمايز أو كاد ينعدم، حيث دخلت العقائد الحلولية وشوّهت عقيدة التوحيد الصافية فكان أن توقفت الحضارة الإسلامية عن العطاء.

تدريب (5)



إن الوجود قائم على عالمين اذكرهما؟

ما الفرق بين وحدة الخالق ووحدة الخلق ؟

أسئلة تقويم ذاتي



1- من أين وضحت معالم الفلسفة الغربية؟
2- ما الذي يريده علماء الغرب عند احتجاجهم على مناهج المعرفة المعاصرة ؟.
3- الإنسان محاسب على أعماله الدنيوية في اليوم الآخر، ما الذي يقتضيه هذا الحساب؟

2.2 الجذور التاريخية للأزمة الفكرية

إنّ عجز منهج المعرفة الإسلامية –كما هو اليوم– هو السبب في عجز فكر الأمة عن إصلاح حالها، والتصدّي للتحديات التي تواجهها، فجوهر الأزمة هو أزمة في فكر الأمة الإسلامية، وهذه الأزمة تندرج تحتها سائر الأزمات السِّياسية؛ والاقتصادية والاجتماعية. ولقد بدأت هذه الأزمة منذ أيام الخلافة الراشدة نتيجة لوجود قطاع عريض من الأعراب، وتنامي النزاعات القبلية والجهوية مما أدى لأحداث الفتنة التي انتهت بسقوط الخلافة الراشدة. ثم حدث انفصام بين القيادة الفكرية والقيادة السِّياسية "؛ قيادة سياسية محرومة من قاعدة فكرية تخدمها ، وقيادة فكرية بعيدة عن مسرح الأحداث"[1].

3.2 جوهر الأزمة

عزيزي الدارس، إن أهم عناصر الأزمة الفكرية تتلخص في الآتي:

1.3.2 التأزيم من خلال توهم رعاية السُّنة

القرءآن الكريم مصدر كلي منشيء للفكر والحضارة والمعرفة، والسُّنة النبوية مفسِّرة. وتوهم الكثيرون وقوع التعارض بين القرءآن والسُّنة، فكثر الجدل في حجيتها، فتحولت السُّنة من رحمة للعالمين عند البعض إلى إصر وأغلال يتمرد النّاس عليها ويحاولون الخلاص منها[1].

2.3.2 التأزيم من خلال توهم الدِّفاع عن العقيدة

---

[1] أنظر : عبد الحميد أبو سليمان : أزمة العقل المسلم ، الفصل الأول ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

[1] راجع في هذه النقطة:

- يوسف القرضاوي : كيف نتعامل مع السُّنة النبوية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي حجية السنة النبوية.
- عبد الغني عبد الخالق : حجية السُّنة النبوية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1994م.

تمّ وضع علم الكلام للدِّفاع عن العقيدة، لكنه أصبح بمرور الزَّمن وسيلة للفرقة وتغذية الفتن والتعصُّب للمذاهب الكلامية.

3.3.2 التأزيم من خلال توهم العناية بالفقه

نشأت العلوم الفقهية لتكون علاجاً لمشكلات العصر وقضاياه وفقاً لفقه أئمة تلك العصور وفهمهم، لكن ساد التقليد والتعصُّب لأقوال أولئك الفقهاء وصار علمهم شريعة بجانب الشريعة. يقول الفقيه الحنفي أبو الحسن الكرخي(260هـ- 340هـ)" كل آية أو حديث تخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤول أو منسوخ"[2]. ونتج عن ذلك الفصام بين النظرية والتطبيق.

4.3.2 التأزيم من خلال توهم إعادة الاتصال بين النظرية والتطبيق

أقلقت أزمة الفكر الإسلامي وخطابه بعض العلماء العظام الذين تفهموا حقيقة هذا الفصام وطبيعته، وأدركوا خطره، ورأوا ضرورة إعادة الاتصال بين النظرية والتطبيق، وكان علم التصوف محاولة مخلصة لإعادة الاتصال بين الحقيقة والشريعة، أو إزالة الفصام بين النظرية والتطبيق، وربط الأحكام الشرعية بمقاصد الشارع، لكن علم التصوف تعرّض للتأزيم عندما دخلت من بابه كثير من انحرافات الأمم الملعونة ، وأصبح في كثير من جوانبه دعوة للعزلة والانصراف نحو القضايا الفردية، وإهمال قضايا المجتمع بدعوى عدم الانغماس في دنيا الناس ومطالبهم الدنيوية ، مما أدى إلى شل حركة قطاع عريض من أبناء الأمة الإسلامية، وهي أمة منوط بها عمارة الكون والشهادة على العالمين.

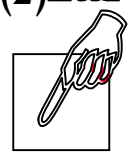
مما سبق يتضح أنّ الأزمة هي أزمة في فكر الأمة وليست أزمة في عقيدتها. فالعقيدة صاغتها نصوص الوحي، وهي نصوص محفوظة بحفظ الله لها، لكن فهوم الناس لها – وهو ما يشكِّل الفكر – هي المتغيِّرة وهي فهوم قابلة للخطأ والصواب، ومن ثمّ فإنه من الخطأ الخلط بين الفكر والعقيدة. وإذا أمعنا النظر فإنّ هذا الحديث يقودنا إلى مسألة تقديس التراث الإسلامي الذي

---

[2] أنظر : محمد الغزالي وعمر عبيد حسنة : كيف نتعامل مع القرءآن ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

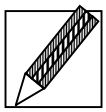
حوّله بعض الناس إلى نصوص معصومة لا يتطرق إليها الشك والنقد، على الرغم من أنّ التراث هو في مجمله اجتهادات وفهوم بشرية عرضة للتغيُّر بتغيُّر الأمكنة والأزمان.

نشاط(2)



راجع ما سبق في كتاب " حجية السنة " للدكتور عبد الغني عبد الخالق والدكتور يوسف القرضاوي : كيف تتعامل مع السُنة النبوية – المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

تدريب (6)



1- أكتب أهم عناصر الأزمة الفكرية دون تفصيل ؟
2- لماذا وضع علم الكلام وكيف أصبح بمرور الزمن وسيلة للفرقة والفتن؟
3- تحدث عن دور علم التصوف في الفكر الإسلامي ؟

أسئلة تقويم ذاتي



1- تعرض علم التصوف لكثير من الانحراف ما السبب في ذلك ؟
2- ما هي النتائج التي أحدثتها النزاعات القبلية والجهوية في الخلافة الراشدة.

وبناءً على ما سبق فإنّ جوهر الأزمة كما بدت ملامحها سابقاً قد تبلورت في نظام التعليم الإسلامي، وتتلخص في انكفاء جماعة من الأمة على التراث دون تطوير واجتهاد وجعله معياراً للعلم والنظر، والتراث كما أسلفنا فكر بشري محدود بحدود البيئة المنشئة له ، كما أنّ ذلك التراث في مجمله يتعلق بالعلوم الشَّرعية أو معارف الوحي وهي معارف تتعلق بعالم الغيب. ومعنى هذا

هو حدوث إهمال للعلوم الدنيوية أو العلوم الطبيعية وهي علوم تجريبية وهذا أدى لإهمال عمارة الكون وكانت النتيجة هي هذا التخلُّف الحضاري.

أما باقي الأمة فقد رأى في المشروع التغريبي حلولاً لمشاكل الأمة، فتبنته بحذافيره على الرغم من أن المشروع الغربي كان وليد ظروف تاريخية عايشت صراعاً بين الدين والعلم، وهذه الظروف لا تنطبق على الدين الإسلامي، ولا العقل المسلم الذي لا يعرف صراعاً بين العقل والدين "الوحي"، فلكل منهما مجاله وحدوده وهما يتكاملان لفهم الحقيقة.

إنّ الخلل في كلا المنظومتين السائدتين في العالم الإسلامي: المنظومة المعرفية المنكفئة على الذات والمهملة لعالم الشهادة، والمنظومة المعرفية المنفتحة على عالم الشهادة والملغية لعالم الغيب أثّرتا تأثيراً واضحاً على العلم في العالم الإسلامي، فأوجدتا نوعين من العلم : علم ديني وعلم دنيوي، وعلى أساس هذا التقسيم توزعت المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي ما بين المدارس الدينية والمدارس العلمانية[1].

ومصدر الخلل يرجع في الأساس إلى أنّ الممارسة العملية أدت إلى عدم تكامل المصادر المعرفية في كلا النموذجين، إذ من المفترض نظرياً أن يحدث إنسجام وتكامل بين المصادر المعرفية في التصور الإسلامي؛ ذلك أنّ معطيات الدِّين الإسلامي قائمة على العقل، والوحي دائم الحض للناس جميعاً على المشاهدة القائمة على الحواس وعلى التدبر العقلي المتسم بالإخلاص لله سبحانه في البحث عن الحقيقة. ويتجلى تكامل مصادر المعرفة ووسائلها بشكل مثالي في عالم الإسلام في أنّ الوحي يقدِّم للبشر أُطراً تصورية يقينية تتصل بكل من:

أ. المعارف المتصلة بعالم الغيب

ب. كليات عالم الشهادة.

---

[1] عن أزمة التعليم الإسلامي المعاصر راجع:

– زغلول راغب النجار : أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، والدار العالمية ، الرياض 1995م.

عزيزي الدارس، إنّ العقل المهتدي بالوحي يقوم بالربط بين معطيات الحواس لإضفاء المعنى عليها، ولكنه بدلاً عن الاعتماد على مجرد الخيال، والتخمين يعتمد على ما يأتي به الوحي من أطر تصورية عامة[2].

ونتيجة لهذا الخلل فقد كان الفشل والتخلُّف قرين العمل الإسلامي ومشاريع الإصلاح، فالمشروع الغربي في بلاد المسلمين فشل لأنه نتاج ثقافة مخالفة لثقافة المجتمع، وتجاهله لمعادلة الأمة الثقافية والاجتماعية، وتناقضه مع كينونة الأمة، وتكريسه للهيمنة الثقافية ، وترسيخه للكبرياء الغربية، وخصوصيته واعتماده على قواعد الصراع[3]. كما فشل المشروع التقليدي الذي أشاع فلسفة العزلة والنفور من الدُّنيا رغم أنّ الدنيا مزرعة للآخرة. ولهذا فقد تعالت الصيحات لأجل إصلاح الفكر الإسلامي وتجديده.

3. حلول الأزمة المعرفية الإسلامية

انتهت النظريات الوضعية في العلوم الاجتماعية إلى نتائج سلبية فيما يتعلق بالأسس المنهجية التي قامت عليها ، وكانت هذه الصورة التي انتهت إليها نتيجة طبيعية للبيئة الثقافية التاريخية التي نشأت فيها. وعندما دخلت هذه النظريات الاجتماعية إلى عالمنا الإسلامي نقلت معها أزمتها المعرفية القائمة على الصراع بين العلم والدين، فجاءت الدراسات الاجتماعية والإنسانية في العالم الإسلامي لتعكس مثيلاتها في العالم الغربي. وعلى غرار التجربة الغربية التي قامت بالدعوة إلى معارضة الدين قامت محاولات مماثلة في العالم الإسلامي لتعكس هذه الخصومة، وهدفت إلى جعل دين الإسلام مجرد تراث ثقافي يدخل ضمن الإرث التاريخي للأمة وليس واقعاً حيّاً وفكراً حاضراً[1].

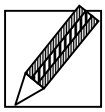
---

[2] إبراهيم رجب : مصدر سابق ، ص167-168.

[3] العلواني : إصلاح الفكر الإسلامي.

[1] أمزيان : منهج البحث الاجتماعي ، ص153.

تدريب(7)



عرف التراث ؟

عزيزي الدارس، إنّ هناك اتفاقا يشبه الإجماع بين المهتمين بإصلاح العلوم وإعادة صياغتها وفق التصور الإسلامي الصحيح على ثلاثة أمور هي [2]:-

1-أنّ مناهج العلوم الاجتماعية الحديثة ونظرياتها والمسلمات الأساسية التي تقوم عليها تلك العلوم في صورتها الراهنة تتضمن كثيراً مما يتعارض ويتناقض مع التصور الإسلامي الصحيح للإنسان والمجتمع والوجود.

2-أنّه قد ترتب على هذا القصور والاختلال المعرفي عجز تلك العلوم أو على الأقل قصورها حتى الآن عن التوصل إلى تفسيرات مرضية للسلوك الفردي، أو للظواهر الاجتماعية لا في المجتمعات الإسلامية وحدها وإنما في غيرها من المجتمعات كذلك.

3-أنّ هناك حاجة ماسة إلى إعادة النظر في تلك المناهج والنظريات والمسلمات بطريقة جذرية في ضوء التصور الإسلامي.

---

[2] إبراهيم رجب : التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ، معالم على الطريق ، مجلة إسلامية المعرفة العدد الثالث ، ماليزيا يناير 1996م ، ص 57. وأنظر:

- الفار وقي : صياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- امزيان : منهج البحث الاجتماعي ، مصدر سابق.

إنّ معالجة الإشكالية المنهجية للعلوم لا تتم إلاّ وفق التصور الإسلامي الصحيح، حيث أنّ هذا التصور ينبثق من مصدر إلهي "الوحي"

وهو يضع حلولاً لهذه الأزمة تتمثل في النقاط التالية:

1. إنّ الظواهر الإنسانية ليست في واقعها وحقيقتها مظاهر حسية، وغياب هذا الإدراك الواعي جعل المنهجية الوضعية تقدَّس الطريقة التجريبية كأسلوب وحيد للمعرفة؛ والمذهبية الإسلامية تقرَّر أنّ الحقيقة العلمية ليست حكراً على التجربة، وأنّ الوجود الواقعي ليس حكراً على الوجود المادي ، وأنّ إلتزام الأسلوب العلمي في دراسة الظواهر الاجتماعية لا يتحول بالضرورة إلى الاعتقاد في العلم كطريق وحيد مشروع ورفض ما عداه من الطرق، ومعنى هذا أنه ليس من الضروري أن نتحدث عن شكل واحد من أشكال العلمية، فالنموذج الطبيعي في العلوم الفيزيائية لا ينفي وجود أنواع أخرى من العلوم تتعلق بمواضيع ذات طبيعة مخالفة للطبيعة المادية ، كما أنّ تأكيد العلم الطبيعي على الجوانب المادية في الحياة لا ينفي بالضرورة وجود جوانب غير مادية فيها [1].

2. إنّ الوجود لا ينحصر في هذا العالم المشاهد وحده الذي تستطيع الحواس إدراكه، وإنما هناك وجود لعالم غيبي تخرج معرفته عن نطاق الحواس. ولمعرفة ذلك العالم فلا بد من اعتماد الوحي الإلهي مصدراً معرفياً إذ أنّ المعلومات التي يمدنا بها الوحي معلومات يقينية وقطعية ، والمصادر الأخرى مهما كانت فائدتها فهي ليست مصادر يقينية، ولا يمكن أن تقدَّم لنا إجابات واضحة ودقيقة للتساؤلات المطروحة. كما أنّ الوحي يستوعب في تفصيلاته حقيقة الإنسان في أصله وخلقه وتكوينه وحركته على الأرض ومصيره المستقبلي.

3. إن الوحي المطلوب إضافته مصدراً معرفياً هو الوحي الإسلامي المرتكز إلى عقيدة التوحيد، وذلك حتى تتمايز الفواصل بين عالم التنزيه "الإلهي" وعالم الخلق المحدود و بين المعرفة الإلهية والمعرفة الإنسانية النسبية، ومن المعلوم أنّ الوحي في المسيحية قد لحقت به التشوهات فتعدّدت فيه الآلهة وصارت المعرفة البشرية وحياً مقدساً كما ذكرنا سابقاً.

---

[1] أمزيان ، مصدر سابق ، ص 258-260.

4. إنه لا بد من التكامل بين المصادر المعرفية ووسائلها، وبين عالم الغيب والشهادة. فالوحي بوصفه منطلقاً للمعرفة يحتم التكامل والتطابق مع جوهر الكون والطبيعة والإنسان، ويقوم بتوجيه تلك المعارف. وإنّ وجود أي تعارض أو تناقض لا بد أن يكون عجزاً في الأداة، سواء كان ذلك في أدوات فهم معارف الوحي أو الاستنباط منها، أو في أدوات تحصيل معارف الكون والطبيعة والإنسان.فمعارف الوحي تتكامل مع معارف الكون والطبيعة والإنسان، خاصة فيما يتعلق بالغيب والغايات الكلية للوجود الإنساني والمادي للكون، وفي الغايات الخلقية للسلوك الإنساني. ومعارف الوحي تتطابق مع معارف الكون والطبيعة والإنسان في كشف كنه هذه المعارف، وتسيرها لغاياتها الكلية في قصد الخير ونشر العمران. وحتمية التكامل والتوافق وجهد التطابق يحتم توجيه معارف الكون باتجاه كليات الوحي الخيِّرة [1].

تلك الحلول الإسلامية تتعلق بالفصل الحادث في العلوم وابتعادها عن الدِّين، فهي إذن تتجه بكلياتها للمعرفة العلمانية لاعادة صياغتها وفق التصور الإسلامي. ونضيف نقطة تتجه إلى التعليم التقليدي وهي:

أنه لا بد من إعادة النظر في أسلوب دراسة معارف الوحي ومنهج تدريسها، وتنقيتها من شطط القرون المتأخرة، حيث أصبح التوحيد قضية لاهوتية مجردة. وهذا يستدعي تغيير طريقة التعليم التي تسود في المدارس الشَّرعية، إذ لا يمكن لإنسان يقتصر على قراءة كتب التراث وفكره أن يكون له رأي واجتهاد، كما لا يمكن لإنسان لا يهتدي بالكتاب والسُّنة أن يكون له رؤية شمولية إسلامية قيَّمة. كذلك لا بد أن يصل هدى الكتاب والسُّنة ومقاصدها إلى كل دارس وعامل في أي شأن من شؤون الحياة، وأن لا يقتصر علم الكتاب والسُّنة على طلبة العلوم الشرعية وحدهم. وإذا كان تدريس معارف الوحي وتعميمها من الواجبات فإن تدريس مناهج العلوم الحديثة لطلاب العلوم الشرعية لا يقل خطراً عن تدريس معارف الوحي[1].

---

[1] أبو سليمان : معارف الوحي ، المنهجية والأداء ، مجلة إسلامية المعرفة ، العدد "3" ، يناير 1996م ، ص 98-99.

([1]) أبو سليمان : نفس المصدر السابق.

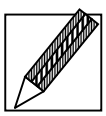
ولعل الحقيقة الغائبة عن الأذهان هي أنّ مناهج العلوم الحديثة التجريبية القائمة على الاستقراء هي في حقيقتها مناهج إسلامية كان من نتائج تشغيلها في علوم المسلمين الأوائل هيمنة الحضارة الإسلامية على العالم القديم. وحينما تمّ إهمالها والتركيز على معارف الوحي وحدها توقفت الحضارة الإسلامية عن العطاء، ووقع العالم الإسلامي فريسة للتخلف والاستعمار. ومهما يكن من أمر فإنّ الحضارة الغربية قد استفادت من المنهج التجريبي، وقامت نهضتها الحديثة على ذلك المنهج الإسلامي الأصيل، غير أن النهضة الأوربية أخطأت حينما أبعدت هذا المنهج عن هدايات الوحي وإرشاده.

أسئلة تقويم ذاتي



1- كيف يمكننا إعادة صياغة العلوم وفق التصور الإسلامي الصحيح ؟
2- تحدث عن الظواهر الإنسانية حسبما تبدو في مظاهرها الحسية؟

تدريب (8)



1- هنالك عالم غيبي تخرج معرفته عن نطاق الحواس كيف نتعرف على ذلك؟
2- ميِّز بين الوحي كمصدر للمعرفة والمصادر الأخرى للمعرفة.

4. نموذج لمحاولات الإصلاح المعرفي

لقد اتضح لنا من خلال عرضنا السابق أن جوهر الإشكالية في النموذجين العلماني والإسلامي ينبع من المنهجية في المقام الأول، حيث أن التقدُّم في أي جانب هو رهين بتحقيق

التقدَُم في مسألة المنهج. ومن هنا ظهرت دعوى إسلامية المعرفة وإسلام العلوم باعتبارها قضية منهجية تقوم على اكتشاف العلاقة المنهجية بين الوحي والكون ، وهي علاقة تداخل وتكامل تكشف عن استيعاب منهجية القرءآن الكريم للكون وسننه وقوانين حركته. وتتلخص محاور إسلامية المعرفة في [2]:-

1.4 بناء النظام المعرفي الإسلامي

ويتم ذلك بإعادة كشف وبناء النظام التوحيدي من حيث تفعيل العقيدة للإجابة على التساؤلات النهائية؛ وهي تلك التساؤلات المتعلقة بالإله والإنسان والكون والحياة والنشأة والمصير، وكشف النماذج المعرفية التي سادت في تاريخ الإسلام، وذلك بغرض تقويم التراث الفكري وتبيين معالم النموذج المعرفي التراثي المستوحى من القرءآن الكريم.

2.4 بناء المنهجية المعرفية القرءآنية

الاختلال الذي أصاب العقل المسلم يجعل من إعادة بناء المنهجية المعرفية ضرورة ملحة. المنهج سبيل للوصول إلى الحقيقة وطريقة تسلك في فهم الظواهر وتحليلها. وهذه المنهجية القرءآنية نابعة من النموذج المعرفي الإسلامي وقائمة على مسلماته وقواعده المنطقية. وبناء هذه المنهجية ينبغي أن ينصرف معظم الجهد فيه إلى بناء فلسفة المنهج على مختلف مستوياتها، ومحاولة اكتشاف الأدوات التي وُظِّفت قديماً من قبل العلماء المسلمين، وكذلك أدوات المنهج المعاصرة في العالم لإيجاد أو تعديل أو تكييف أدوات منهجية انطلاقاً من النموذج المعرفي الإسلامي.

---

[2] راجع في ذلك :

1- المعهد العالمي للفكر الإسلامي : إسلامية المعرفة ، المبادئ وخطة العمل.

2- طه جابر العلواني : إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

3- محمد الحسن بريمة : قضايا في إسلام المعرفة ، المحاضرة رقم (6).

3.4 بناء منهج للتعامل مع القرءآن الكريم

القرءآن الكريم مصدر للمنهج والشّرعة والمعرفة ومقومات الشُّهود الحضاري والعمراني. وإنّ استدعاء القرءآن الكريم في إطار واقع عالمي متغيِّر بوعي جديد ضرورة. وهذه الضرورة تكمن أهميتها في محاولتها تصحيح كثير من المفاهيم المتعلقة بالتعامل مع القرءآن الكريم في الموضوعات الإسلامية كخطوة أولى يؤسَّس بموجبها الوعي المنهجي الإسلامي المعاصر [1]. وإعادة التعامل مع القرءآن كمصدر منهجي ومعرفي للعلوم الاجتماعية والطبيعية سيجعل هذه العلوم قادرة على مد الحياة الإنسانية بما يخرجها من أزماتها ، وسيعيد الإرتباط بين هذه العلوم والقيم ويربطها بمقاصد الحق وغائية الخلق.

4.4 بناء منهج التعامل مع السُّنة النبوية

لا بد من الوعي بحقيقة السُّنة النبوية باعتبارها المصدر التفسيري الملزم– لوحده– للنص القرءآني، وحقيقة دورها من خلال تلك الرؤية المنهجية القرءآنية. والسُّنة النبوية هي المنهاج التفصيلي في حياة المجتمع والفرد المسلم ، وهي تمثَّل القرءآن مفسراً والإسلام مجسَّداً. ومن الصعب فهم كثير من قضاياها بمعزل عن الواقع الذي كان يتحرك فيه الرَّسول (ص). ومن الصعب أيضاً تطبيق السُّنة وتحقيق واجب الاتباع والتأسي بالرسول(ص) من خلال تتبع الجزئيات دون استنباط منهج للتأسي يضم الجزئيات في إطار منهجي [1].

5.4 قراءة التراث الإسلامي قراءة سليمة

يجب إعادة قراءة التراث الإسلامي قراءة نقدية تخرجنا من دائرة القبول المطلق والرفض المطلق والإنتقاء العشوائي. ومن قبيل نافلة القول نذكر أنّ المنهجية الصحيحة لقراءة التراث

---

[1] لمعرفة كيفية التعامل مع القرءآن الكريم راجع :

محمد الغزالي وعمر حسنة : كيف نتعامل مع القرءآن الكريم ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

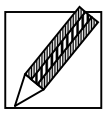
[1] لمعرفة كيفية التعامل مع السنة النبوية راجع :

- يوسف القرضاوي : كيف نتعامل مع السَّنة النبوية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1990م
- محمد عمارة : السُّنة النبوية مصدراً للمعرفة ، مجلة المسلم المعاصر ، ع "59" فبراير – ابريل 1991م.

الإسلامي هي في تحكيم النظام المعرفي الإسلامي ومنهجيته والاحتكام لنصوص الوحي في الحكم على التراث.

و المقصود بالتراث الإسلامي هنا هو تلك العلوم والمصنفات التي وضعها العلماء السابقون من المسلمين، ولا يدخل في هذا التراث الوحي كتاباً ولا سنة؛ وإنما يقتصر على أقوال العلماء التي لا قداسة لها ؛ إذ أنها مجرد آراء نيرة لعلماء أفذاذ أصحاب عقول نيرة وقرائح جبارة. وهذا التراث الإسلامي على عظمته ورفعة شأنه ليس ملزماً في الأخذ به. وليس المقصود بعدم الإلزام هنا إهماله وضرب الصفح عنه ؛ وإنما المقصود أنه ليس كالقرءآن والسنة في وجوب الالتزام به. ومهما يكن من أمر فان تراثنا الإسلامي العظيم رغم عدم قدسيته وإلزاميته– لا يمكن للعالم أو طالب العلم تجاوزه أو إهماله كما يفعل الكثيرون اليوم من أدعياء العلم والمعرفة.

تدريب(9)



1- ما المقصود بالتراث الإسلامي ؟
2- أكتب عن نموذج محاولات الإصلاح المعرفي ؟

أسئلة تقويم ذاتي



1- ما المنهج القويم الذي ييسر لنا التأسي بالرسول (صلى الله عليه وسلم).
2- على ماذا يقوم عالم الشهادة ؟
3- لابد من تكامل بين المصادر المعرفية ووسائلها وبين عالم الغيب والشهادة.علِّل.

عزيزي الدارس، هنالك أوجه مغلوطة للتعامل مع التراث الإسلامي العظيم وهي:

أ- الرفض المطلق

من الأمور الخاطئة في العصر الحاضر مسألة تجاوز التراث الإسلامي وإهماله بحجة أن العلماء السابقين "رجال ونحن رجال". وهذه القضية–إن استخدمت في هذا الجانب– فما هي إلا

دعوى حق أريد بها الباطل، إذ ليس من المعقول إطلاقاً نبذ هذا التراث الإسلامي العظيم وجهود العلماء الفذة والبدء من جديد، إذ أن هنالك كثيراً من القضايا قد طرحها علماؤنا الأقدمون بعمق شديد لا تجد له مثيلاً في وقتنا الحاضر؛ ولأجل ذلك كان رفض التراث الإسلامي أمراً خاطئاً لا يقول بصحته عاقل قط.

ومن الثابت أن علماءنا الأقدمين قد كانوا أكثر معرفة بالوحي وطرق الاستنباط الصحيح للمعاني، إلا أنه يمكن استدراك كثير من الأمور عليهم، إذ ما هم- في نهاية المطاف – إلا بشر، ومعلوم أن البشر مهما بلغوا من العلم والمعرفة فانهم يعتريهم الضعف والقصور. ولأجل ذلك صح قول الإمام مالك: "كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر" مشيرا إلى قبر الرسول (ص).

ب-القبول المطلق

يعوِّل علماؤنا الأقدمون على العقل، وذموا التقليد ذماً شديداً. ولم يكن هنالك من شيء أمقت لهم من هذا التقليد الذي هو اتباع للغير دون مطالبة له بالدليل. ولما كان الأمر كما سبق فقد اتضح اتضاحاً لا يدع للشك مجالاً أن التقليد الأعمى للعلماء السابقين دون معرفة مناهجهم وأصول آرائهم يعتبر طريقاً خاطئاً؛ فلو أن العلماء السابقين قبلنا كانوا قد اكتفوا بما ورثوه من العلماء قبلهم لرأينا صرح العلم مختلاً وبنيانه متهدماً؛ولما كان هنالك من تراث إسلامي عظيم نفخر به الآن.

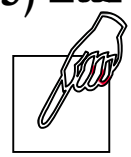
ج- الإنتقاء العشوائي

إن من أخطر الأمور في تعاملنا مع التراث الإسلامي وأقوال العلماء السابقين قضية الانتقاء العشوائي دون معرفة الرأي المتكامل. ومعلوم أن الفكر لا ينشأ من العدم ولا ينبثق من الفراغ بحال ، بل لا بد للعالم من مؤثرات فكرية تشكل رأيه وتبلور أفكاره. كما أن لكل عالم منهجه الذي يحكم قضية الفكر عنده. فلو لم نراع جانب المنهج وجانب المؤثرات الفكرية للعلماء لأصبح انتقاؤنا لآراء العلماء انتقاء عشوائياً خاطئاً.

وهذا الانتقاء العشوائي من شأنه أن ينسب إلى العلماء آراء ليست بالصحيحة، إذ أن الرأي قد يكون متعلقاً بأمر ما من جهة أو قد يكون العالم قد تراجع عنه في مصنف آخر له. ولأجل

ذلك فقد اتضح أن التعامل المنهجي مع تراثنا العظيم ضرورة منهجية تقتضيها عملية إعادة بناء العلم واستئناف مسيرته.

نشاط (3)



أخي الدارس؛ من المفيد أن تقرأ في كتاب " عبد الحميد أبو سليمان بعنوان " أزمة العقل المسلم " لتتعرف على أهم عناصر الأزمة الفكرية

5. التعامل مع التراث الغربي

عزيزي الدارس، كيف نتعامل مع التراث الغربي؟

ما قيل عن التراث الإسلامي ينطبق على التراث الإنساني المعاصر.وهو تراث ليس حكراً على الحضارة الغربية وحدها، فللمسلمين فيه نصيب. ومن جانب آخر فإنّ الإسلام لا يقف موقف العداء من عطاء الآخرين، حيث أنّه يتقبل كل فكر يتماشى مع مبادئه. ولذلك فإنّه يجعل البحث عن الحكمة ضالة المؤمن فأنَّى وجدها فهو أحق بها.

ولأجل ذلك لا يمكن رفض المعرفة التي عند الأمم غير المسلمة أصلا ، ولكن هذا الأمر ليس على إطلاقه ؛ بل لا بد للمسلم من ضوابط يتم تكوينها من داخل عقيدته السامية. وهذه العقيدة إنما هي بمثابة المصفاة التي تحصنه من تلك الآراء الفاسدة التي من المحتمل وجودها في تراث الأمم غير المسلمة. ويشهد تراثنا الإسلامي اهتمام المسلمين القدماء بتراث الأمم الأخرى وترجمته إلى العربية للاستفادة منه ؛ إذ ليس العلم –حسب رأيهم –حكراً على أحد.

ولما كان الأمر كذلك فقد اتضح أن التراث الإنساني ليس مقبولاً عندنا قبولاً مطلقاً ولا مرفوضاً كذلك، وإنما نأخذ منه ما يوافق عقيدتنا السامية ونطرح منه ما يخالفها.

إن الواقع الفكري لدينا اليوم يعكس اتجاهات غير مقبولة على إطلاق وهي :

أ- الانكفاء على الذات

نقصد بهذا الانكفاء : رفض كل المعارف والعلوم والأفكار بحجة أنها ليست صادرة من قبل علماء المسلمين ، ثم العكوف على الذات عكوفاً يكون فيه من التجمد ما فيه ؛ وهذا هو ما يهمش دور المسلمين بين أمم العالم ويجعلهم عرضة للانغلاق والانعزال. ولا شك أن عالمية

الإسلام التي جاء بها الوحي الكريم تأبى الانكفاء على الذات دون محاولة إيصال نور الله تعالى الذي بين أيدينا إلى كافه الأمم. وذلك لا يتأتى إلا بالأخذ والعطاء والتحاور والمشاركة.

ب- الركون إلى تراث الآخر

إن من أسوأ الآثار التي ترتبت على ضعف المسلمين وعدم ثقتهم في أنفسهم اليوم- محاولة التقليد الأعمى وأخذ الأفكار الغربية دون تفحص ونظر، ودون إعمال عقل وتقليب للأمور على الوجوه كلها. وهذا الاتجاه أمر ملحوظ عند المسلمين اليوم. ولا شيء عند العاقل أقبح من التقليد الأعمى الذي يكون المقلد أول ضحاياه. وإذا كان علماؤنا الأقدمون قد رفضوا التقليد الأعمى لفكر العلماء المسلمين دون إعمال العقل فيه فما بالك بتقليد غير المسلمين.

وبناءً على ما سبق فإنّه يتضح لنا أنّ مهمة إسلامية المعرفة هي بناء نظرية المعرفة التوحيدية التي تؤمن بأنّ للكون خالقاً واحداً ليس كمثله شيء ولم يحل في شيء، وهو خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل، لا تدركه الأبصار وهو يدركها وهو اللطيف الخبير، لا تحيط به العقول ولا تدركه الأفهام حق الإدراك، استخلف الإنسان وعلمه ما لم يكن يعلم، وجعل الوحي مصدراً إنشائياً لمعرفته والوجود مصدراً موازياً وبالربط بينهما في إطار التوحيد الخالص تتكون المعرفة السليمة ، معرفة التوحيد والاستخلاف والأمانة والعمران والشهود الحضاري [1].

أسئلة تقويم ذاتي

1- ما الذي يقصد بالإنكفاء على الذات ؟
2- ما هي مهمة إسلامية المعرفة ؟
3- قارن بين الأزمة المعرفية الغربية والأزمة المعرفية الإسلامية؟
4- ما هو منهج الغرب في العقيدة ؟
5- كيف نتعامل مع التراث الإسلامي والتراث الغربي في شأن قضية المعرفة ؟
6- بماذا يمتاز الفكر الإسلامي بالنسبة لمصلحة الإنسان ؟

[1] محمد الحسن بريمة ؛ قضايا في إسلام المعرفة ، المحاضرة (6) ، ص 2.

الخلاصة

ما خلصنا إليه في الأزمة المعرفية الغربية والأزمة الإسلامية المعاصرة يمكن تلخيصه على النحو التالي :

أولاً: إن المعرفة الغربية المعاصرة جاءت وليدة للصراع المرير بين الكنيسة والعلماء إذ ظلت المعرفة لقرون عديدة حكراً على الكنيسة.

ثانياً: إن نتيجة ابعاد الوحي عن التوجيه جعل المعرفة في عصر التنوير وما تلاه من عصور تتميز بالإيمان العميق بالعالم الطبيعي على أنه العالم الوحيد الذي يسعد فيه الإنسان، وظلت النظرة المادية إلي الكون والإنسان هي سمة الفكر الغربي وهي السمة التي عملت على ترسيخها الفلسفة الوضعية.

ثالثاً: إنعكس ذلك الفهم على العلوم بشقيها الطبيعي والإنساني، فتحولت المعرفة إلي معرفة بشرية خالصة ومحصورة في الواقع المحسوس.

رابعاً: استبعدت العوامل الروحية والقيم من نطاق الدراسات الغربية وهي قضايا تشكل جزءاً مهمَّاً من نشاط الإنسان وتفكيره.

أما خلاصة القول في الأزمة المعرفية الإسلامية

أولاً: إنّ جوهر الأزمة الإسلامية هي أزمة فكرية وليست أزمة عقيدة، فالعقيدة صاغتها نصوص الوحي وهي نصوص محفوظة بحفظ الله لها، وتبدو هذه الأزمة واضحة للعيان.

ثانياً: إنّ مصدر الخلل الأساس هو أنّ الممارسة العملية في العالم الإسلامي المعاصر أدّت إلى عدم تكامل المصادر المعرفية؛ إذ من المفترض نظرياً أن يحدث الانسجام والتكامل بين المصادر المعرفية؛ ذلك أنّ معطيات الإسلام قائمة على العقل. والوحي دائم الحض للناس جميعاً على المشاهدة القائمة على الحواس وعلى التدبر العقلي المتسم بالإخلاص لله في البحث عن الحقيقة. ويتجلى هذا التكامل في أنّ الوحي يقدِّم للبشر أطراً تصورية للمعارف المتصلة بعالم الغيب والمعارف المتصلة بكليات عالم الشهادة، وأنّ العقل المهتدي بالوحي يقوم بالربط بين معطيات الحواس لإضفاء المعنى عليها معتمداً على ما يأتي به الوحي من أطر تصورية.

لمحة مسبقة عن الوحدة الدراسية التالية

الوحدة الثانية هي بعنوان " نظرية المعرفة بين النموذجين الإسلامي والغربي"

إن البحث في نظرية المعرفة هو البحث في مبادئ المعرفة الإنسانية.

لقد أصبح البحث في المعرفة – ماهية وقيمة ومصدراً ضرورة علمية وفكرية لا يمكن تجاوزها وتشمل هذه الوحدة "مفهوم النظرية ومفهوم المعرفة "، وكذلك الملامح العامة لنظريتي المعرفة الغربية والإسلامية إن شاء الله.

إجابات التدريبات

تدريب (1)

1- إن الغاية التي خلق الله من أجلها الإنسان هي عبادته وعمارة الكون. وسخر له الموجودات لتعينه على أداء مهمته في عمارة الكون.
2- المنظومة التي تجسدها الفلسفة الغربية الوضعية هي منظومة علمانية تتعامل مع عالم الشهادة وتلغي التعامل مع عالم الغيب.
3- الفرق بين عالم الشهادة وعالم الغيب هو أن عالم الشهادة يقوم على الأشياء الحسية التي تتحكم في معرفتها الحواس وعالم الغيب يقوم على أشياء يتحكم في معرفتها العقل البشري.

تدريب(2)

1- نقصد بعصر التنوير العصر الذي تم فيه إبعاد الدين – الوحي – عن التوجيه. وأهم ميزة إختص بها عصر التنوير هي الإيمان بقدرة العقل على استيعاب الكون وإخضاعه لحاجات الإنسان.
2- إن السمة التي عملت على ترسيخها الفلسفة الوضعية هي النظرة المادية إلي الكون والإنسان وهذه نظرية الفكر الغربي.

تدريب (3)

أدى لحصر المعرفة في مجال العالم المشاهد، وطبع المعرفة بطابع الظنية والنسبية؛ لأن المعرفة كانت معرفة بشرية قاصرة عن إدراك ما وراء الحواس.

تدريب (4)

حقق نجاحاً باهراً في مجال العلوم الطبيعية.

تدريب (5)

1- عالم الغيب وهذا مصدره الوحي.

2- عالم الشهادة وهذا يمكن فهمه عبر العقل.

2- الفرق بين وحدانية الخالق ووحدة الخلق هوأن وحدانية الله هي محور التصور الإسلامي، والإيمان بالله هو العامل الأهم في توجيه سلوك الإنسان، ووفقاً لهذا التصور فإن المسلم يؤمن بالله خالق هذا الوجود ومدبره ويعرف اتصافه بالكمال واطلاق الإرادة والتصرف " ألا له الخلق والأمر".ويترتب على وحدانية الخالق وحدة الخلق ، وأن الكون نظام واحد متكامل من صنعة خالق واحد ، وأن النظام الكوني يتكون من قوانين الطبيعة التي ليست إلا سنن الله السارية في خلق الله المادي او النفسي أو الاجتماعي أو الأخلاقي.

تدريب(6)

أ- التأزيم من خلال توهم رعاية السنة.

ب- التأزيم من خلال الدفاع عن العقيدة.

ج- التأزيم من خلال العناية بالفقه.

د- التأزيم من خلال إعادة الاتصال بين النظرية والتطبيق.

2- وضع علم الكلام للدفاع عن العقيدة ولكنه أصبح بمرور الزمن وسيلة للفرقة والفتن والتعصب للمذاهب الكلامية.

3- دور علم التصوف كان محاولة مخلصة لإعادة الاتصال بين الحقيقة والشريعة أو إزالة الفصام بين النظرية والتطبيق.

تدريب (7)

1- التراث هو فكر بشري محدود بحدود البيئة المنشئة له.

تدريب (8)

1- لا بد من اعتماد الوحي الإلهي مصدرا معرفياً. إذ أنَّ المعلومات التي يمدنا بها الوحي معلومات يقينية وقطعية.

2- الفرق بين الوحي كمصدر للمعرفة والمصادر الأخرى أن الوحي مصدر يقيني قطعي والمصادر الأخرى ظنية غير قطعية.

تدريب (9)

1- التراث الإسلامي هو تلك العلومات والمصنفات التي وضعها العلماء السابقون من المسلمين ولا يدخل في هذا التراث الوحي؛ كتاباً ولا سنة.

2- تتلخص محاور إسلامية المعرفة في الآتي :

1- بناء النظام المعرفي الإسلامي، ويتم ذلك بإعادة كشف وبناء النظام التوحيدي من حيث تفعيل العقيدة.

2- بناء المنهجية المعرفية القرءآنية، حيث أن الاختلال الذي أصاب العقل يجعل من بناء المنهجية المعرفية ضرورة ملحة وهذه المنهجية القرءآنية نابعة من النموذج المعرفي الإسلامي وقائمة على مسلماته وقواعده المنطقية.

3- بناء منهج للتعامل مع القرءآن الكريم.ويكون هذا المنهج- في إطار واقع عالمي متغير بوعي جديد- ضرورة. وهذه الضرورة تكمن أهميتها في محاولتها لتصحيح كثير من المفاهيم المتعلقة بالقرءآن الكريم في الموضوعات الإسلامية.

4- قراءة التراث الإسلامي قراءة سليمة، ومهما يكن من أمر فإن تراثنا الإسلامي العظيم -رغم عدم قدسيته وإلزاميته- لا يمكن للعالم أو العلم تجاوزه أو إهماله.

المصادر والمراجع

القرءآن الكريم

1. اسماعيل الفاروقي (1995)، **صياغة العلوم الإسلامية صياغة إسلامية،المعهد العالمي للفكر الإسلامي**
2. إبراهيم رجب (1996)**التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية،معالم على الطريق** ، ماليزيا.
3. ابراهام ماسلو (ترجمة) ماجد عرسان الكيلاني (1401هـ) **خطر الانشقاق بين العلم والدين ، مجلة الأمة** ،قطر
4. زغلول راغب النجار (1995) **أزمة التعليم المعاصر وحلولها الاسلامية**، المعهد العالمي للفكر الاسلامي والدار العالمية ، الرياض
5. سيد قطب ( )**خصائص التصور الاسلامي** ، دار الشروق
6. طه جابر العلواني ( ) **إصلاح الفكر الاسلامي**
7. طه جابر العلواني ( ) **اسلامية المعرفة بين الأمس واليوم** ،المعهد العالمي للفكر الاسلامي.
8. عبد الحميد أبو سليمان (1996) **معارف الوحي ، المنهجية والآداء** ، مجلة اسلامية المعرفة العدد 3.
9. عبد الحميد أبو سليمان ( )**أزمة العقل المسلم** ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي واشنطون.
10. عبد الغني عبد الخالق (1994) **حجية السنة النبوية** ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي
11. محمد محمد مزيان(1991) ، **منهج البحث الاجتماعي بين الوصفية والمعيارية.**
12. محمد الغزالي وعمر عبيد حسنة ، **كيف نتعامل مع القرءآن** ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي

13. عبد الوهاب المسيري (1995)،إشكالية التميز ، **رؤية معرفية ودعوة للإجتهاد** ،المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
14. عرفان عبد المجيد فتاح (1997) ،المرتكزات الإسلامية التي حفظت للأمة كيانها، مجلد التجديد العدد 2 ،الجامعة الإسلامية، ماليزيا ص 39، عبد البوهاب المسيري(1997)، **الحلولية والتوحيد والعلمنة الشاملة، مجلد التجديد**،العدد الثاني ، ماليزيا.
15. عبد الوهاب المسيري " محرر" (1995)، **اشكالية التميز ، رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد** ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
16. عبد الله محمد الأمين, **قراءة في فلسفة العلم في القرن العشرين**، مجلة تفكر م5/عدد 1.
17.عرفان عبد الحميد عبد الفتاح (1999)، **نظرية المعرفة في القرءآن،مجلة إسلامية المعرفة العدد م5** ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي
18. فتحي حسن ملكاوي (2000)، **نحو نظام معرفي إسلامي** ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ،الأردن.
19.محمد الحسن بريمة، **إسلام المعرفة لماذا ؟**
20.محمد عمارة ( )**إسلامية المعرفة ، ماذا تعني؟** سلسلة إقرأ، دار المعارف ، القاهرة.
21.يوسف القرضاوي (1990) **كيف نتعامل مع السنة النبوية** ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي.
- (1991) **السنة النبوية مصدر للمعرفة** ، مجلة المسلم المعاصر،ع 59.
- (1996) **المنهجية والأداء** ، مجلة إسلامية المعرفة ،ع د.

Abraham Maslo {1970},Forward in the Third Force ,Frank G.Globe,New York
Harry Schofield {1982}The Phyosophy of Education ,London
Theodore Roszak (1972) ,Where the Wasteland Ends? New York


الوحدة الثانية
نظرية المعرفة بين النموذجين
الإسلامي والغربي

محتويات الوحدة

الموضوع	الصفحة
المقدمة	**46**
تمهيد	46
أهداف الوحدة	46
1. مفهوم نظرية المعرفة	**46**
1.1 مفهوم النظرية	47
2.1 مفهوم المعرفة	48
2. تاريخ نظرية المعرفة	**49**
1.2 تاريخ نظرية المعرفة في الفكر الإسلامي	53
2.2 تاريخ نظرية المعرفة في الفكر الغربي	53
3. الملامح العامة لنظريتي المعرفة الإسلامية والغربية	**55**
1.3 مميزات النظرية المعرفية الغربية	55
1.1.3 غلبة الفلسفة التجريبية الحسية	55
2.1.3 تمحور المعرفة حول الانسان	56
3.1.3 تبعية نظرية المعرفة لنظرية الموجود	56
2.3 مميزات النظرية المعرفية الإسلامية	57
2.2.3 محدودية العلم الأنساني	57
3.2.3 تجانس المصادر المعرفية	58
4. مباحث فلسفية في النموذجين	**60**
1.4 إمكان المعرفة بين نظريتي المعرفة الغربية والإسلامية	60

1.1.4 امكان المعرفة في نظرية المعرفة الغربية	60
2.1.4 المعرفة في نظرية المعرفة الإسلامية	61
2.4 طبيعة المعرفة بين نظريتي المعرفة الأسلامية والغربية	65
1.2.4 طبيعة المعرفة في النظرية الغربية	65
2.2.4 طبيعة المعرفة في نظرية المعرفة الإسلامية	66
3.4 مصادر المعرفة بين النظريتن الغربية والإسلامية	67
1.3.4 مصادر المعرفة في نظرية المعرفة الغربية	67
2.3.4 مصادر المعرفة في تظرية المعرفة الإسلامية	69
الخلاصة	**78**
لمحة مسبقة عن الوحدة التالية	**78**
إجابات التدريبات	**80**
المصادر والمراجع	**82**

المقدمة

تمهيد

أخي الدارس، مرحباً بك إلي الوحدة الثانية من مصادر المعرفة الإسلامية.

بعد عرضنا للأزمة المعرفية في الفكر الغربي والفكر الإسلامي في الوحدة الأولى ، نعبر جميعاً إلي الوحدة الثانية التي تتناول نظرية المعرفة بين النموذجين الإسلامي والغربي.

وتشتمل هذه الوحدة على عدة أقسام تتناول نظرية المعرفة وطبيعتها ومبادئها ومصدرها وقيمتها.

ثم تفرد مساحة مقدرة للتعريف بنظريتي المعرفة الإسلامية والغربية.

وقد أوردنا مجموعة من التدريبات والأنشطة وأسئلة التقويم الذاتي حتى تقوم بحلها بعد دراسة كل قسم من أقسام الوحدة وقراءتها قراءة متأنية.

ونتمنى أن تجد فيها الفائدة العلمية المرجوة وتحقق أهدافها.

ونرجو منك عزيزنا الدارس، أن تشاركنا في نقدها وتقييمها.

أهداف الوحدة

عزيزي الدارس، بعد دراستك لهذه الوحدة ينبغي أن تكون قادراً على أن :

- **تميز** بين نظريتي المعرفة الإسلامية والغربية.
- **تتعرف** على مفهوم وطبيعة المعرفة في النموذج الإسلامي.
- **تتعرف** على مفهوم وطبيعة المعرفة في النموذج الغربي.
- **تميز** بين مصادر المعرفة في النموذجين.
- **توضح** الملامح العامة لنظريتي المعرفة الإسلامية و الغربية.

نظرية المعرفة

عزيـزي الـدارس، إنّ البحـث فـي نظريـة المعرفـة هـو بحـث فـي مبـادئ المعرفـة الإنـسانية وطبيعتها ومصدرها وقيمتها وحدودها وفـي الصلة بين الذات المدركـة والموضـوع المدرك، وبيان إلى أي مدى تكون تصوراتنا مطابقة لواقع الشيء المستقل عن الذهن الذي تناوله.

ولقد أصبح البحث في المعرفة – ماهية وقيمة ومصدراً – ضرورة علمية وفكرية لا يمكن تجاوزها ، بدعوى أنها مسألة نظرية ، وذلك بسبب إسهامها الكبير في تشكيل المناخ الثقافي المنشود الذي يؤدي بما يتوافر فيه من صفاء عقدي ونقاء فكري إلى تلاشي كثير من عوامل الخلل وأسباب الغبش، لا سيما وأنّ مبحث مصادر المعرفة فيها يعتبر أساس فكر البشر ومنطلقه ومنبع كثير من تياراته ومذاهبه ونظرياته.وسوف نحاول في هذه الوحدة إعطاء الخطوط العريضة لنظريتي المعرفة الإسلامية والغربية متكئين على ما أوردناه في الفصل الأول المتعلق بأزمة المعرفة في كلا النموذجين.

1. مفهوم نظرية المعرفة



1.1 مفهوم النظرية

وللنظرية عدة معان منها

1- إنها موضوع تصور منهجي متناسق تابع في صورته لبعض الموضوعات العلمية التي يجهلها عامة الناس.

2- إنها بناء فرضي ورأي لعالم أو فيلسوف حول مسألة أو مشكلة.

3- إنها تركيب عقلي يتوسل به إلى تفسير عدد كبير من الجزئيات.

4- إنها تركيب عقلي مؤلَّف من تصورات منسقة تهدف إلى ربط النتائج بالمبادئ.

5- هي الإطار الفكري الصريح الذي يربط بين الوقائع والمفاهيم والفروض والقوانين، ولا يصرح به إلا بعد تحققه بالشواهد التجريبية، ولكنها تظل فرضاً واسعاً متضمناً إن لم يتح لها هذا التحقُّق.

6- هي بحكم اشتقاقها من اليونانية " Theoria " تعني التأمل. فليست – إذن- نتيجة مباشرة من معطيات الواقع، ولذلك فهي لا تنبثق من تلقاء ذاتها نتيجة للبحث التجريبي، بل تأتي بوصفها حلولاً عقلية لمشكلات مثارة. كما أنّها تقدِّم من قبل ذلك الأساس الذي ينبغي أن تحدد بمقتضاه الأسئلة التي يجاب عنها. وتفترض حلول النظرية نسقاً متآزراً -من الوجهة المنطقية -من شأنه أن يجعل الوقائع العلمية وسائر العناصر والخطوات جزءاً من المعرفة العلمية المقبولة.ولهذا تعد النظرية لوناً من ألوان الخيال الملائم.

7- من الفلاسفة من اعتبر النظرية مرادفاً للفظ "نسق"[1] الذي هو "مجموعة من القضايا المرتبة في نظام معيَّن بعضها مقدمات[2] لا يبرهن عليها في النسق ذاته ، وبعضها الآخر يكون نتائج مستنبطة من هذه المقدمات" [3].

---

[1] مراد وهبة : المعجم الفلسفي ، ط3، دار الثقافة، القاهرة 1979م، ص447.

– سمير نعيم أحمد : النظرية في علم الاجتماع ، دراسة نقدية ، ط5، دار المعارف ، مصر 1985م ص29.

[2] المقدمات هي الأمور التي تنبني عليها النتائج وتعتبر في حكم المسلمات المتفق عليها.

تدريب (1)

1- اذكر ثلاثة معانٍ للنظرية المعرفية وبين أهم ما يجمع بينها ؟

➢ **تنبيه**

تختلف نظرة العلماء وفلاسفة العلم إلى مهمة النظرية على النحو الآتي :

1- فمنهم من يقصر مهمتها على مجرد الوصف بينما التفسير -عندهم- شيء آخر لا تستهدفه النظرية.

2-هناك من يرى أن تقدُّم المعرفة العلمية رهين بالتفسير لأنه يعين على التنبؤ بسلوك الأشياء التي عرفت من قبل.

غير أنه ما دامت النظرية مطلب المنهج العلمي فلابد أن تستوعب مهامه جميعاً من وصف أو تفسير أو تنبؤ أو تحكُّم"[1].

2.1 مفهوم المعرفة

كان لعلماء الإسلام تعريفات متعددة للمعرفة تفرِّق بينها وبين العلم الذي يجتمع معها في أنّ كلا الأمرين إدراك للأشياء؛ إلا أن المعرفة-عندهم-إدراك مسبوق بجهل بخلاف العلم. ولذلك يسمى الله تعالى عالماً ولا يسمى عارفاً "[2].

---

(3) وهبة، نفس المصدر ، ص237. ولمعرفة معنى النسق أو النموذج المعرفي "Paradigm" عند الغربيين راجع Kuhn : Thomas: The Structure of Scientific Revolution , 2nd ed, Chicago, chicago University Press, 1970.P10-22.

(2) على بن محمد بن على الجرجاني: التعريفات : تحقيق إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب العربي 1992م، ص283. وقال الرازي :" المعرفة عبارة عن حصول العلم بعد الالتباس ولهذا يقال ما كنت اعرف فلاناً والآن عرفته. والمعرفة تستدعى سبق الجهل(الرازي : التفسير الكبير ، م1،ج2،ص201) ويعرِّفها الغزالي بأنها " العلم الذي لا يقبل الشك إذا كان المعلوم ذات الله تعالى "الغزالي : محمد بن محمد : ميزان العمل ، مكتبة الجندي، القاهرة ، ص175.

ويقول الراغب الأصفهاني " إنّ المعرفة تقال فيما تدرك آثاره وإن لم تدرك ذاته، والعلم لا يقال إلا فيما تدرك ذاته. ولهذا يقال فلان يعرف الله ولا يقال يعلم الله، لما كانت معرفته تعالى ليست إلا بمعرفة آثاره دون معرفة ذاته. وأيضاً فالمعرفة تقال فيما يعلم وجوده وجنسه وكيفيته وعلته. ولهذا يقال:الله تعالى عالم بكذا ولا يقال عارف به، لما كان العرفان يستعمل في العلم القاصر "[1].

ويعرَّف المعاصرون المعرفة بأنّها :كل اعتقاد جازم سواء طابق الواقع أم لم يطابقه. ويتضح من التعريف أنّ كل علم معرفة وليست كل معرفة علماً[2]، أي أنّ العلم جزء من المعرفة وليس العكس. و من هنا يظهر الفرق بين العلم الذي هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع وبين المعرفة التي هي الاعتقاد الجازم سواء طابق الواقع أم لم يطابقه، وهكذا تترقى المعرفة عند متلقيها لتصبح علماَ عندما يقوم الدليل على مطابقة الاعتقاد الجازم للواقع الذي هو موضوع الاعتقاد.

إذا كان العلم عند المسلمين هو " الاعتقاد الجازم المطابق للواقع " أو هو "إدراك الشيء بحقيقته " فهو بهذا يتضمن العناصر التالية:

1- السَّعي المخلص الجاد للوصول إلى الحقيقة بمعناها الشامل لكل ما في الوجود أو ما وراء الوجود، أو المعارف الناتجة عن ذلك السَّعي إخلاصاً نتصور معه أنّ الباحث المسلم يسعى للوصول إلى ما يشبه الاتحاد أو الاقتراب بين ذاته العارفة وبين موضوع بحثه.

الهدف من هذا السَّعي العمل بمقتضى المعرفة المطابقة للواقع لتحقيق الرَّسالة التي من أجلها خلق الإنسان؛ ألا وهي الوصول إلي رضاء الله وتحقيق السَّعادة في الحياة الآخرة، مع الاستفادة بالنتائج الحسنة للعلم في تدبير شؤون الحياة الدنيا على وجه يرضي الله سبحانه وتعالى. أما

---

[1] الراغب الأصفهاني: الذريعة إلى مكارم الشريعة ، تحقيق أبو اليزيد العجمي ،ط1، دار الصحوة، القاهرة 1985م ، ص179-180.

[2] محمد الحسن بريمة: المعرفة بين الإسلامية والعلمانية ، معهد إسلام المعرفة ، ورقة نقاش (5) ، مدني 1993م ،ص3. وأنظر : إبراهيم أحمد عمر : العلم والإيمان ، مدخل إلى نظرية المعرفة في الإسلام ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، سلسلة أبحاث علمية (5) ، ط2 ، هيرندن أمريكا 1992م، ص69 وما بعدها "بتصرف".

العلم كما بلورته الفلسفة الغربية فقد أصبح ينظر إليه من زاوية أكثر محدودية عن تلك التي عند المسلمين. فالعلم عندهم هو " المعرفة المصنفة التي تمّ التوصل إليها باتباع قواعد المنهج العلمي الصحيح، مصاغة في قوانين عامة للظواهر الفردية المتفرقة ". وهذا العلم يقوم على الاستقراء الذي يعتمد على الملاحظة ووضع الفروض وإجراء التجارب للتحقق من صحة الفروض. وعلى هذا اقتصر العلم عندهم على الواقع المحسوس أو عالم الشهادة. وكل ما يخرج عن المحسوس والمشاهد مهما تكن أهميته لسعادة الإنسان فهو مستبعد من نطاق الدراسة، وكأن عالم المحسوس هو وحده الذي له وجود حقيقي. وذلك هو مبلغهم من العلم﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْأَخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧ ﴾ (الروم 7) ، راجع ، إبراهيم رجب : مصدر سابق ، ص 57–59.

عزيزي الدارس ما هو الفرق بين العلم والمعرفة ؟

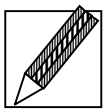
العلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع الناشئ عن دليل.والمعرفة: هي الاعتقاد الجازم المطابق أو غير المطابق للواقع وللمعرفة معان أخرى سنعرض لها لاحقاً.

أما إذا لم يقم الدليل القطعي على المطابقة؛ إما بسبب قصور المنهجية البحثية أو لعدم تعريض الاعتقاد الجازم للاختبار أصلاً، فإنَّ المعرفة تظل في مرحلة الظنية، وعلى هذا الأساس يمكننا أن نتكلم عن المعرفة العلمية والمعرفة الظنية ، ومعظم المعرفة البشرية اليوم إنما هي معرفة ظنية بما في ذلك العلوم الطبيعية التي تستمد علميتها من أنها تقوم على المنهج التجريبي الاستقرائي والذي يجعل مطابقة الاعتقاد الجازم للواقع ظناً راجحاً وذلك من خلال تراكم التجارب العلمية المؤيِّدة للنظرية، ولكن هذا الاعتقاد لا يصل إلى مرحلة اليقين القاطع " Indubitable Truth" لقصور ذاتي في المنهج[1].

---

(1) Milton Kynes : What is this thing Called Science, Open un, Press
– نقلاً عن محمد الحسن بريمة : المعرفة بين العلمانية والإسلامية.

تدريب (2)



1- متى تكون المعرفة ظنية ؟

2- متى ينتقل العلم إلي مرحلة التقليد؟

إنّ المعرفة هي العملية الإدراكية للأشياء أو الموضوعات التي تقع خارج الذهن على حقيقتها أي حصول العلم بالأشياء. وتنطوي هذه العملية على عدة عمليات تتمثل في: الإدراك الحسي والتذكُّر والتعرُّف والتمييز بين الأشياء والتخيل والاستقراء والاستنباط والاستنتاج والحكم والتفكير[2].وقيل" أنّ المعرفة هي إدراك الشيء بتفكُّر وتدبُّر لأثره. والمعرفة أخص من العلم إذ أنها تتعلق بذات الشيء والعلم بأحوال الشيء فالمعرفة نسبة التصديق. وإن المعرفة تكون لما غاب عن القلب بعد إدراكه، فإذا أدركه قيل عرفه أو تكون وصفاً له بصفات قامت في نفسه فإذا رآه وعلم أنه الموصوف بها قيل : عرفه، قال تعالى

﴿ وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ (يوسف 58)

فالمعرفة نسبة الذكر في النفس وهو حضور ما كان غائباً عن الذكر، ولهذا كان ضدها الإنكار وضد العلم الجهل، قال تعالى ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ (النحل 83)

ويقال: عرف الله فأقر به، وعرفه فأنكره [4].

وعلى هذا فإنّ المعرفة إدراك مطلق أو إدراك ناقص بالنسبة للعلم. وهي على هذا فعل عقلي يتم به حصول الشيء في الذهن، ويتم به النفوذ إلى جوهر الموضوع، بحيث تكون المعرفة محيطة موضوعياً بكل ما هو موجود لشيء في الواقع.

---

[2] جعفر عباس حاجي: نظرية المعرفة في الإسلام ، دراسة مقارنة لأهم الأسس والمفاهيم المتعلقة بنظرية المعرفة في الإسلام وبقية المذاهب الفلسفية الأخرى. مكتبة الألفين ، الكويت ، ص582.

[4] أحمد عبد الرحيم السايح : المعرفة بين الفلسفة والإسلام ، مجلة هدى الإسلام ، 27 ، العدد الرابع ، ربيع الثاني 1403هـ "1983" ص 29-30". وللتوسع في هذه المعاني أنظر : الكردي نظرية المعرفة بين القرءآن والفلسفة ص 455-459.

على ضوء تعريفنا لمعنى النظرية ومعنى المعرفة يتضح لنا أنّ مفهوم نظرية المعرفة يعني:" دراسة منهجية منظمة أو بحث في المعرفة من حيث أصلها وماهيتها وإمكانها وطرق الوصول إليها وطبيعتها وحدودها وقيمتها؛ أي بحث في المشكلات الناشئة عن العلاقة بين الذات العارفة "الإنسان" والموضوع المعروف "الأشياء". والبحث عن درجة التشابه بين التصور الذهني والواقع الخارجي. ومدى خدمة هذا التصور
لنظرية الوجود ومن ثم فهي دراسة محورية لا مجرد دراسة وصفية "[1].

أسئلة تقويم ذاتي

1- وضح الفرق بين العلم والمعرفة
2- ناقش: المعرفة إدراك مطلق ناقص بالنسبة للعلم.

2. تاريخ نظرية المعرفة

1.2 تاريخ نظرية المعرفة في الفكر الإسلامي

كان لعلماء المسلمين – فلاسفة ومتكلمين– السبق في إفراد بحث المعرفة بالدراسة بصورة مستقلة فكتبوا أبحاثاً في العلم والمعرفة، نذكر منها :دراسة القاضي عبد الجبار بن أحمد "ت451هـ" الذي كتب في "النظر والمعارف"، حيث تحدَّث عن حد النظر والعلم والمعرفة وطرقها وحقيقتها، وطرق معرفة صحة النظر ودرجات المعرفة من الشك إلى الظن إلى اليقين، وتحدّث عن الدليل العقلي [2]. أما الإمام الباقلاني "ت403" فقد قدَّم لكتابه "التمهيد" بـ "العلم وأقسامه

---

[1] الكردي : نظرية المعرفة، ص64.
- الزنيدي : مصدر سابق ، ص50-51.
- صليبا : مصدر سابق ، ج2،ص478.
- قنصوة : مصدر سابق ،ص31.

(2) عبد الجبار بن أحمد القاضي: المغني في أبواب التوحيد والعدل، النظر والمعارف، ج12 ، ص64.

وطرقه"[3].وكذلك أفرد البغدادي الفصل الأول من كتابه " أصول الدين" لبيان الحقائق والعلوم وإثباتها وطرق تحصيلها وأقسامها[1]. أما الرازي فإنه يجعل الركن الأول من كتابه " المحصل" في العلم والنظر "[2] ويجعل الإيجي الموقف الأول من كتابه " المواقف" في العلم والنظر[3]. وكذلك الأشعري في مقالاته[4] وغيرهم. ومعنى هذا أن علماء المسلمين كانوا على علم بها وإن لم يسموها باسمها المعاصر.

2.2 تاريخ نظرية المعرفة في الفكر الغربي

أما الفلاسفة الغربيون فقد كانت نظرية المعرفة مبثوثة لديهم في أبحاث الوجود، إلى أن جاء جون لوك "1632-1704" فكتب " مقاله في الفهم البشري " Essay Concerning Human Understanding المطبوع عام 1690م ليكون أول محاولة لفهم المعرفة البشرية وتحليل الفكر الإنساني وعملياته"[5]. وإن كان قد سبقه " ديكارت في نظرية "فطرية المعرفة". ثم جاءت محاولة "فريير" في القرن التاسع عشر ففصل بحث المعرفة عن بحث الوجود [6]. ثم اتخذت نظرية المعرفة وضعها المستقل لتبحث في العلاقة بين الذات العارفة" الإنسان" والموضوع المدروس والنظر في حدود المعرفة البشرية وقيمتها وطبيعتها ومصادرها. فصارت نظرية المعرفة بذلك تخدم علمي الإنطلوجيا "نظرية الوجود" والإكسيولوجيا " نظرية القيم".

تدريب(4)

---

(3) أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني: التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة ، طبعة بيروت 1957م،ص6-16.

(1) عبد القاهر بن طاهر بن محمد الاسفراييني التميمي البغدادي: كتاب أصول الدين ،ط1، مطبعة الدولة القسطنطينية 1346هـ (1928). وكذلك كتابه الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، طبعه محمد على صبيح، القاهرة.

(2) الفخر الرازي: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الفلاسفة والمتكلمين، طبعة القاهرة 1323هـ،ص2-33.

(3) عضد الملة الإيجي: المواقف في علم الكلام

(4) أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعري: مقالات الإسلاميين وإختلاف المصلين ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، جزءان ،ط2، دار النهضة المصرية 1969. وأنظر الكردي : نظرية المعرفة، ص64-65.

(5) هنتر ميد: الفلسفة ، أنواعها ومشكلاتها ، ترجمة فؤاد زكريا ط2،مؤسسة فرانكلين ، القاهرة 1975،ص175.

(6) بن أ.و : تاريخ الفلسفة الحديثة ، ترجمة عبد المجيد عبد الحليم، ط1، مكتبة الأنجلو ، القاهرة 1958،ص93.

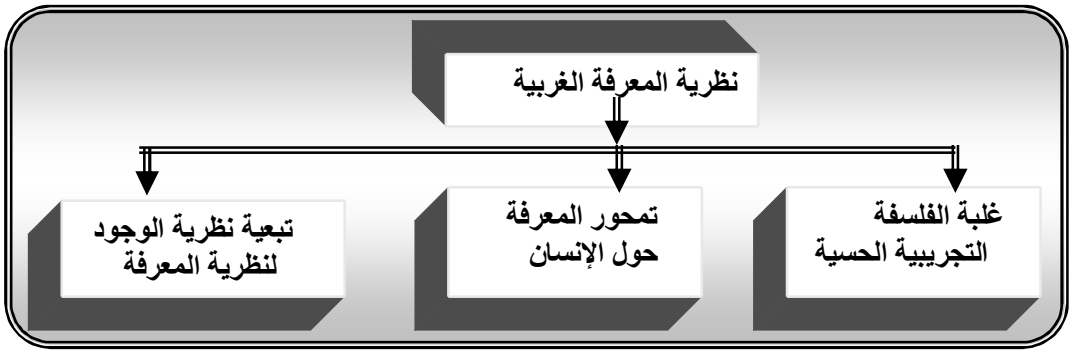
تنطوي عملية المعرفة على عدة عمليات أذكرها بالتفصيل؟

3.الملامح العامة لنظريتي المعرفة الغربية والإسلامية

هنالك ملامح عامة لكلا النظريتين الغربية والإسلامية، حيث أنّ من الملاحظ أنّ لكل نظرية من هاتين النظريتين خصائص ومميزات تختلف اختلافاً جوهرياً عن خصائص ومميزات الأخرى.

1.3 مميزات نظرية المعرفة الغربية

تتميز نظرية المعرفة الغربية عموماً بمميزات هي:



وسوف نتحدث عن كل ميزة بشئ من التفصيل:

1.1.3 غلبة الفلسفة التجريبية الحسية

انتهى الأمر في نهاية المطاف بعد صراع مرير بين الكنيسة والعلماء بغلبه العلم ثم انقسم العلماء بين تيارين فلسفيين هما:

أ- المادية التجريبية.

ب- المثالية العقلية، وبعد تنافس التيارين انتهى الأمر بغلبة الفلسفة التجريبية، وذلك للتطور الهائل في العلوم الطبيعية التي تخبر عن الواقع المشاهد؛ وهي علوم الفيزياء والكيمياء وغيرها. ثم لحقت بها العلوم الاجتماعية والإنسانية التي اقتفت أثرها في المنهج رغم الاختلاف الجوهري

بين طبائع كلّ منها.وبذلك تم حصر المعرفة على عالم الشهادة الحسي دون عالم الغيب الذي طريق العلم به هو الوحي.

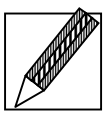
2.1.3 تمحور المعرفة حول الإنسان

أضحى الافتراض الأساس في نموذج المعرفة الغربية الحديثة هو أنه يمكن الوصول إلى الحقيقة النهائية من خلال المعرفة المتمحورة حول الإنسان فقط عن طريق التجربة، إذ أنّ المعرفة–عندهم– لا تتعدى عالم المادة والحس بعد أن صار الوحي بكافة معطياته الغيبية غير منظور إليه في العصر الحديث[1].

3.1.3 تبعية نظرية الوجود لنظرية المعرفة

أصبحت السِّمة الجوهرية للفلسفة الغربية بعد عصر النهضة هي إقامة دعائم الوجود على أسس معرفية محورها إنسانية المعرفة والمذهب التجريبي أو المذهب المادي. وهذه القضية قد خلقت علاقة إعتمادية بين علم الوجود ونظرية المعرفة، وصار علم الوجود تابعاً لنظرية المعرفة؛ بمعنى أنّ الوجود هو ما يمكن معرفته بالحس دون سواه، وذلك عكس نظرية المعرفة الإسلامية التي تتبع المعرفة فيها للوجود [1].وقد أدى هذا الاتجاه إلى تأليه الإنسان والطبيعة. كما أدى إلى عجز هذه الفلسفة عن الإجابة عن التساؤلات الفلسفية النهائية المتعلقة بالإله والإنسان والحياة والمبدأ والمصير، وهي أسئلة عقيدية لا تستطيع أي معرفة بشرية الإجابة عنها بصفة نهائية، وإنما الذي يستطيع تقديم الأجوبة هو الوحي الإلهي، وقد تم إبعاده عن صياغة نظرية المعرفة الغربية.

تدريب (5)



بعد صراع الكنيسة والعلماء ، انقسم العلماء إلي تياريين فلسفيين، ما هما ؟

[1] أنظر تفصيلاً في الفصل الأول من هذا الكتاب.

[1] أحمد أوغلو: النماذج المعرفية الإسلامية والغربية ،مجلة إسلامية المعرفة ع22، ص25–26.

أسئلة تقويم ذاتي



ما الذي أدى إلي إنهزام الفلسفة التجريبية ؟

2.3 مميزات نظرية المعرفة الإسلامية

إنّ لنظرية المعرفة الإسلامية مميزات تختلف بها اختلافاً جوهرياً عن نظرية المعرفة الغربية ولها ارتباطات متداخلة تكوَّن شبكة كلية ونظرة شاملة للوجود أو رؤية للعالم "World View" وهذه المميزات هي:

1- تبعية نظرية المعرفة لنظرية الوجود.

2- محدودية العلم الإنساني.

3- تجانس المصادر المعرفية

وسنتحدث عن كل ميزة من هذه الميزات، حتى يستطيع الدارس أن يفرق بين مميزات النظرية الغربية ومميزات النظرية الإسلامية.

1.2.3 تبعية نظرية المعرفة لنظرية الوجود

إنّ نظرية المعرفة الإسلامية تابعة لنظرية الوجود، ويمثِّل توحيد الإله محوراً لهذه النظرية، فهي تنطلق – إذن- من مبدأ التوحيد. والتفكير الإسلامي عموماً يعتمد على الربط بين الوجود والمعرفة من خلال النبوة التي هي الطريق الوحيد للمعرفة الغيبية. ولذا فإنّ ما هو موجود لا يتعلق وجوده بمعرفة الإنسان له أو عدمها، وذلك خلافاً للنظرية الغربية. ومن هنا كانت تبعية نظرية المعرفة في الإسلام لنظرية الوجود.

2.2.3 محدودية العلم الإنساني

إنّ في الإسلام اختلافاً شاسعاً في المستويات المعرفية بين العلم الإلهي وعلم الإنسان، إذ لا يمكن المقارنة بينهما إطلاقاً ، فالله تعالى في النظرية الإسلامية هو أصل العلم والمعرفة، وهو

وحده العالم المطلق العلم الذي وسع علمه كل شئ بينما علم الإنسان محدود ونسبي. وهذا الإقرار باختلاف المستويات المعرفية الذي يسنده الإيمان بالغيب من شأنه أن يمنع من ظهور قاعدة علمانية محورها الإنسان الذي لم يؤت من العلم إلا شيئاً قليلاً، كما هو الشأن في النظرية الغربية[1].

3.2.3 تجانس المصادر المعرفية

تتجانس المصادر المعرفية في النظرية الإسلامية لإنجاز وحدة الحقيقة،فالكون مصدر للحقيقة، والوحي مصدر للحقيقة المطلقة، والعقل وسيلة لتفسير كل منهما. وكامتداد لهذه الوحدة فإنّ احتمال التناقض بين الوحي والعقل الخالص والكون "عالم الحس" أمر يستحيل وجوده، إذ أنّ وحدة الحقيقة–في الفكر الإسلامي– تتبع من وحدة الألوهية المطلقة. فالعلاقة على هذا تكاملية لا تنافسية بين الوحي والكون والعقل الخالص. ذلك أنّ الوحي بوصفه منطلقاً للمعرفة يحتَّم التكامل والتطابق مع جوهر الكون والطبيعة والإنسان، ويقوم بتوجيه تلك المعارف؛ وأي تعارض أو تناقض لا بد أن يكون عجزاً في الأداة، سواء كان ذلك في أدوات فهم معارف الوحي والاستنباط منها أو في أدوات تحصيل معارف الكون والطبيعة والإنسان؛فمعارف الوحي تتكامل مع معارف الكون والطبيعة والإنسان خاصة فيما يتعلق بالغيب، والغايات الكلية للوجود الإنساني والمادي للكون وفي الغايات الخلقية للسلوك الإنساني.ومعارف الوحي تتطابق مع معارف الكون والطبيعة والإنسان في كشف كنه هذه المعارف وتسيرها لغاياتها الكلية في قصد الخير ونشر العمران. وحتمية التكامل التوافق وجهد التطابق يحتم توجيه معارف الكون باتجاه كليات الوحي الخيَّرة [1].

---

(1) أحمد أوغلو :المصدر نفسه ، ص19–20.

(1) عبد الحميد أبو سليمان:

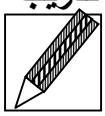
- معارف الوحي، مجلة إسلامية المعرفة ، العدد الثالث، ص98–99.
- مفاهيم في إعادة بناء منهجية الفكر الإسلامي ضمن أبحاث :
Toward Islamization of Disciplines, IIIT,PP.31-37.

أسئلة تقويم ذاتي



1- اكتب أهم ما تميزت به الفلسفة الإسلامية ؟
2- تحدث عن خصائص الفلسفة الغربية ؟

تدريب (6)



تحدث عن تمحور المعرفة حول الإنسان.

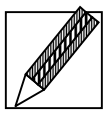
عزيزي الدراس، هنالك مباحث لنظرية المعرفة لأن الدارس لهذه النظرية يجد أن أبحاث الفلاسفة في صياغتهم لهذه النظرية قد دارت في ثلاثة مباحث هي:

1- مبحث إمكان المعرفة : مبحث يعنى بالإجابة على تساؤل: هل في وسع الإنسان أن يعرف شيئاً.

2- مبحث طبيعة المعرفة: وهو مبحث يهتم بتحديد العلاقة بين الإنسان والأشياء ، كما يهتم ببيان وتفسير عملية المعرفة ، وبيان علاقة المعرفة بالوجود، والمعرفة بين الفطرية والاكتساب، ومعايير صدق الحقيقة.

3- مبحث مصادر المعرفة: والمصادر هي ما تتولد وتستمد منه المعرفة معطياتها ويعتبر من أكثر المباحث أهمية في نظرية المعرفة للقائلين بإمكان المعرفة ، ويؤكِّد هذا قيام العديد من المدارس الفلسفية في هذه النظرية على أساس مصادر المعرفة التي تقول بها كل منها.أما ما قام من خلاف بين تلك المدارس في هذا المضمار إنما يُرَدْ إلى اعتبار هذا الباحث لمصدر معيّن وتركه مصدراً آخر يعتمده باحث سواه[1].

تدريب(7)



1- ماذا تعرف عن العلم الإلهي ؟

نشاط(1)

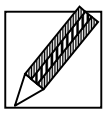


عزيزي الدارس، من خلال دراستك لنظريتي المعرفة الغربية والمعرفة الإسلامية تحدث عن الآتي:

1- الكون مصدراً للمعرفة.2- الوحي مصدراً للمعرفة. 3- العقل.

ثم بيّن عزيزي الدارس ما العلاقة بين هذه المصدريين الأولين الكون والوحي ووضح علاقة العقل بهما.

تدريب (8)



أجب عن الآتي وضع دائرة حول الإجابة الصحيحة

1- تعتمد نظرية المعرفة الإسلامية على :

(أ) التوحيد.

(ب) عالم الشهادة.

(ج) النظرية التجريبية.

4. مباحث فلسفية في النموذجين

وفيما يلي عزيزي الدارس، سوف نناقش مباحث الفلسفة من خلال نظريتي المعرفة الإسلامية والغربية:-

1.4 إمكان المعرفة بين نظريتي المعرفة الغربية والإسلامية

1.1.4 إمكان المعرفة في نظرية المعرفة الغربية

إنّ نظرية المعرفة الغربية في دراستها لإمكان المعرفة قد اختلفت باختلاف المنهج الفلسفي، ورغم قولها بإمكان المعرفة ووجود الأشياء وجوداً حقيقياً وبقدرة الإنسان على معرفتها إلا أنها قد انقسمت إلى اتجاهين هما:

1- إمكان المعرفة عند أنصار الفلسفة العقلية والمثالية

من ملامح قضية إمكان المعرفة في الفلسفة العقلية والمثالية الآتي :

أ- اعترف المثاليون بالواقع الموضوعي للشيء المعروف إلاّ أنهم جعلوا الفعالية للذات العارفة أو العقل؛ أي جعلوا للإدراكات العقلية موضوعية أعلى من موضوعية الإدراكات الحسية.

ب- شك أنصار الفلسفة العقلية والمثالية – لصالح العقل – شكاً معرفياً في الوجود المادي الخارجي وهذا الشك – عندهم- وسيلة وطريق يوصل إلي اليقين وهذا المنهج سلكه ديكارت ودافيدهيوم اللذان أسمياه بالشك العلمي.

2- إمكان المعرفة عند أنصار الفلسفة التجريبية

من ملامح قضية إمكان المعرفة في الفلسفة التجريبية الآتي :-

أ- تعترف الفلسفة التجريبية بوجود واقع خارجي هو مصدر للمعطيات الحسية، ولكنه هو نفسه مصدر هذه المعطيات، وليس تلك الأمور القادمة منه إلي الحواس ومن ثم إلي العقل بمعنى أن الذي يحدد حقيقة الأشياء وهو واقع في الخارج وليس الذهن المدرك لها وذلك عكس الاتجاه السابق تماماً.

ب- ذهب جون لوك إلي أن المعرفة الإنسانية مأخوذة من التجربة الحسية والخبرة فحسب. وترى الماركسية أيضاً أن معرفتنا بقوانين الطبيعة التي تبرهن على صحتها التجربة والتطبيق العلمي هي معرفة صحيحة لها معنى الحقيقة الموضوعية. والتطبيق العلمي عندها هو العمل.

2.1.4 إمكان المعرفة في نظرية المعرفة الإسلامية

إن معرفة الموجودات في الإسلام ممكنة متهيئة لا سبيل إلي إنكارها وبذلك جاء القرءآن والسنة وعلى هذا اتفق العلماء المسلمون أيضاً؛ حيث تحدث القرءآن عن الوجود والمعرفة وجعلهما دائرين حول خلق الله عز وجل للإنسان وحول مخلوقية هذا الإنسان لله عز وجل التي تقضي وجوب فهم هذا الإنسان لدوره في الحياة؛ وهذا الدور لا ينتظر منه بحثاً في إمكان المعرفة وعدم إمكانها إذ أن الإنسان في إمكانه أن يعلم، وهذه قضية بدهية لا تحتاج إلي إثبات حيث أنها من اليقينية بحيث لا تدع للشك فيها مجالاً.

ولأجل ذلك لم يحفل القرءآن بمسألة إمكان المعرفة، وهل يعلم الإنسان شيئاً أو لا يعلم شيئاً إذ أن التشكيك فيها أمرٌ مخالفٌ لطبيعة المنهج القرءآني ولفطرة الإنسان نفسه لأن الله تعالى قد جعل العلم أو العقل أو القدرة على التمييز والتعلم ميزة الإنسان التي يتميز بها عن سائر المخلوقات

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴿٧٠﴾ ﴾ (الإسراء 70)

ولهذا فإن لإمكان المعرفة في الإسلام خصائص هي :-

1- الوجود الواقعي المستقل للأشياء

يقرر القرءآن للأشياء وجوداً واقعياً مستقلاً عما في الذهن سواء أدركه الإنسان أم عجز عن إدراكه وذلك خلافاً للنظرة الغربية؛ ولهذا فإن إدراك الإنسان للأشياء- حسب النظرة الإسلامية- لا يقتضي وجودها كما أن عدم الإدراك لا يقتضي عدمها.

2-إمكان إدراك عالم الغيب

تحدَّث القرءآن عن نسبية المعرفة البشرية﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً (الاسراء ككك﴾

إلا أنّ الوحي- المصدر المعصوم- هو الذي يسدد خطى الإنسان في سعيه لتحصيل المعرفة، ومن الممكن للعقل البشري إدراك موجودات عالم الغيب والتسليم بوجودها عن طريق هداية الوحي وإرشاده لتتكامل بذلك دائرة المعرفة. ومعلوم أنّ الموجودات بالنسبة للإنسان عموما تنقسم إلى نوعين:

أ- موجودات عالم الطبيعة التي يسميها القرءآن عالم الشهادة. وهذه الموجودات يستطيع الإنسان إدراكها بحواسه[1].

ب- موجودات عالم ما وراء الطبيعة التي يسميها القرءآن عالم الغيب. وهذه الموجودات لا

---

[1] الزنيدي : مصدر سابق ، ص 87-90.
- الكردي : مصدر سابق ، ص 335-338.

يستطيع الإنسان إدراكها بالحواس وإنما يستطيع أن يعرفها عن طريق الوحي.

3- قابلية الإنسان واستعداده للمعرفة

جعل الله للإنسان القابلية والاستعداد للمعرفة وخلق له الوسائل التي يتم بها هذا الإدراك؛قال تعالى : { وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ } (النحل78)

4-ضرورة إعمال الفكر والنظر

إنّ القرءآن الكريم يقرَّر أنّ في إمكان الإنسان معرفة الكثير من الأشياء إذا ما سلك السُّبل المؤدية إلى المعرفة، وقد جاءت آيات كثيرة تحث الإنسان على التفكُّر والتدبر والنظر(*) من أجل هدفين هما:

أ- معرفة الأشياء المبثوثة في الكون من حوله حتى يستفيد منها في حياته المادية، ويقوم بواجب الاستخلاف في الأرض.

ب- استشعار عظمة خالق هذه الأشياء ومدبرها ومجريها على سننها الثابتة.

ويتضح مما سبق أنّ المعرفة لو لم تكن ممكنة لكان الأمر القرءآني بالنظر والتدبر والتفكُّر لغواً وباطلاً، والله تعالى منزه عن اللغو والعبث كما هو معلوم".وقد أثبت علماء الإسلام إمكانية تحصيل المعرفة، وجعل بعض العلماء مداخل كتبهم في "إثبات العلم والحقائق"؛ أو في إثبات العلوم الضرورية، أو في إثبات العلم وفي إبطال قول من ينفي الحقائق. وهم بذلك يردون على السوفسطائية من جانب، ويسلمون

بإمكان المعرفة من جانب آخر، ليتسنى لهم البحث في طبيعتها ومصادرها، إذ أنّ من ينكر إمكان المعرفة لا يستطيع أن يتحدث عن طبيعتها ومصادرها.

(*) هناك رسالة ماجستير تناقش موضوع النظر العقلي في القرءآن الكريم وهي منشورة في كتاب ، أنظر : -فاطمة أحمد اسما عيل : القرءآن والنظر العقلي ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، سلسلة الرسائل الجامعية، ط2 ، هيرندن ، فرجينيا 1995م. وأنظر المعجم المفهرس لألفاظ القرءآن الكريم : باب الدال لفظتي يتدبرون ويدبروا وباب الذال لفظة مذكر. وباب العين لفظتي ، تعقلون ويعقلون وباب الفاء لفظة فقه ومشتقاتها ولفظة فكر ومشتقاتها وباب الظاء لفظة نظر ومشتقاتها.

وتتجلى يقينية المعرفة واضحة لدى فلاسفة المسلمين خاصة الفارابي وابن سينا، إذ لم يثيروا شكاً في إمكان المعرفة. ولهذا كان الرأي السائد في الفلسفة الإسلامية هو إمكانية تحصيل المعرفة؛ يقول النسفي "حقائق الأشياء ثابتة والعلم بها متحقق خلافاً للسوفسطائية"[4].

أسئلة تقويم ذاتي



1- ورد في القرءآن الكريم ما يدل على نسبية معرفة الإنسان اذكر الآية التي تدل على ذلك من خلال دراستك لإمكانية إدراك عالم الغيب.

2- تنقسم الموجودات بالنسبة للإنسان إلي نوعين هما :

-1 -2

عزيزي الدارس، لقد قلنا في موقف سابق: إنّ المعرفة- حسب النظرة الإسلامية- تتوقف على الوجود ولا يتوقف الوجود عليها.

ولكن تنعكس هذه النظرة تماماً في الشك المنهجي، وذلك لأنّ هذا الشك يقتضي طرح كل الأفكار السابقة حتى ولو كانت هذه الأفكار إيمانًا بوجود حقيقي للأشياء، وعلى ذلك فإنّ الشك المنهجي ليس هو الطريق الوحيد لطلب اليقين. وذلك لأنّ الإيمان أو الاعتقاد الجازم الذي يطلبه القرءآن لا يشترط هذا الطريق. إذ أن هناك طرقاً كثيرة لقبول الله سبحانه وتعالى إيمان الناس، سواء كان طريق التعليم أو التلقين أو إثارة الفطرة والوعي السليم والنظر والاستدلال.ولقد زود الله الإنسان بمنهج يعيد للفطرة توازنها [2]. ووضع الناس أمام بدهيات لا يمكن إنكارها ولا تحتاج إلى الإثبات بطريق الشك المنهجي، وإنما بمنهج الرجوع إلى الفطرة السوية.

---

[2] المصدر السابق، نفس المكان.

2.4 طبيعة المعرفة بين نظريتي المعرفة الإسلامية والغربية

1.2.4 طبيعة المعرفة في النظرية الغربية

إن طبيعة المعرفة في الفلسفة الغربية تتمثل في مذهبين هما :

أ- طبيعة المعرفة في الفلسفة المثالية

يرد المذهب المثالي كل ما هو في الواقع إلى الفكر، ومن ثم لا يعترف بوجود عالم مستقل للأشياء عن الفكر. لأنّ ما هو خارج الفكر لا يمكن أن يكون معقولاً ولا موجوداً ؛ فالموجود هو المدرك وما لا يدرك فلا وجود له[1].

والمثالية تنكر وجوداً واقعياً مستقلاً للأشياء. كما أنّها تنفي أن تكون هناك ثنائية في المعرفة بين عالم الذات " الإنسان" وعالم الموضوع "الأشياء"، بل تثبت التطابق بين العالمين الذاتي والخارجي. ويذهب فيتشة إلى أن " الذات العارفة ليست فقط مجرد وسيلة تنتهي بالفرد إلى الاتصال بالعالم الخارجي، بل هي الأصل في الإيجاد؛ إيجاد العالم الذي يستحيل أن يوجد في ذاته؛ بمعنى أنّ كل ما هو موجود فهو من صنع الذات العارفة "العقل الإنساني"، فلا يوجد إلا عالم واحد وهوالعالم كما يبدو لنا ولا عالم في ذاته[2]. وانتهت المثالية بذلك إلى إنكار عالم الشهادة.

ب- طبيعة المعرفة في الفلسفة الواقعية

إنّ الوجود الواقعي- في الفلسفة الواقعية- هو ميدان المعرفة، وهو وجود مستقل عن الإنسان، والمعرفة في طبيعتها مادية. وتجعل الواقعية من الحس أو التجربة مصدراً للأفكار أو المبادئ وليس العكس.

---

[1]- الكردي : نظرية المعرفة ، ص243.

[2]- فيتشه : غاية الإنسان، ترجمة د. فوقية حسين، ط1، الأنجلو، القاهرة 1963، ص53-54.

نشاط(2)



جعل الله للإنسان قابلية للمعرفة وخلق له الوسائل التي يتم بها الإدراك لهذه المعرفة، وقد ورد في القرءآن آية ذكرت فيها الوسائل، من خلال دراستك اكتب هذه الآية ؟

أسئلة تقويم ذاتي



جاءت آيات في القرءآن الكريم تحث الإنسان على التفكر والنظر والتدبر في الكون من أجل هدفين، ما هما ؟

2.2.4 طبيعة المعرفة: في نظرية المعرفة الإسلامية

لقد اهتم علماء المسلمين بإثبات وجود العالم الخارجي وإدراكه في آنٍ واحد، ويتضح بذلك أن للفلسفة الإسلامية في هذا المضمار خصائصها وهي:

1-استقلال ووجود الواقع الخارجي

تعترف الفلسفة الإسلامية بالمعرفة لدى الإنسان ودورها، كما تعترف في الوقت ذاته بالواقع الخارجي واستقلاله. ولهذا فإنّ للأشياء وجوداً خارجياً واقعيا مستقلاً عن الذات العارفة. ووجود هذه الأشياء قائم سواء أدركها الإنسان أم لم يدركها.

2-المطابقة بين الوجود الذهني والواقعي

إنّ المعرفة البشرية إنما هي ثمرة التقاء بين ذهن الإنسان وبين الموجودات الخارجية. ويؤمن علماء المسلمين بوحدة الحقيقة والمعرفة، ومن ثمّ فإنهم يطابقون بين ما هو موجود في الأذهان وما هو موجود في الواقع[1]. وهذا لا يعني التلازم التام بين الموجودات وذهن الإنسان. بمعنى أنه ليس كل موجود يمكن معرفته وليس كل تصور واقعاً على شئ خارجي. فهناك من الموجودات ما لا سبيل لوسائل المعرفة الإنسانية إلى معرفتها. كما أنه ليس كل

---

[1] راجح الكردي:نظرية المعرفة، ص355.

– نفس المصدر، ص336.

تصور أو حكم واقعاً على حقيقة خارجية عن الذهن، إذ يمكن أن ترد إلى العقل البشري خيالات وصور لا وجود لها في الخارج.

نشاط(3)



ناقش هذه العبارة على ضوء ما درست في الوحدة الثانية " الموجود هو المدرك وما لا يدرك فلا وجود له "

3.4مصادر المعرفة بين نظريتي المعرفة الإسلامية والغربية

1.3.4 مصادر المعرفة في نظرية المعرفة الغربية

مصادر المعرفة في نظرية المعرفة الغربية بعد عصر النهضة، وابتداءً من القرن السابع عشر هي وليدة للصراع بين الكنيسة والعلماء فقد احتكرت الكنيسة العلم وتفسير الحقيقة ، وقد انتهى هذا الصراع لصالح العلم حيث كان للكشوف العلمية والاحتكاك بالعلوم الإسلامية الأثر البالغ في انهيار معارف الكنيسة. والواقع أنّ الفكر في عصر النهضة اتسم بنزعة شديدة العداء للسلطة الدينية، كما اتسم برغبة جامحة في الخلاص بكل السُّبل من الخضوع للقيادة الفكرية والعلمية لتلك السُّلطة الدينية.

ولهذا فلم يكن هناك مفر من البحث عن مصدر للحقيقة يكون بديلاً للسُّلطة الدِّينية، وكلما كان ذلك المصدر مناوئاً ونقيضاً للمصدر الدِّيني كلما كان ذلك أفضل. ولم يكن هناك من مصدر أفضل من التركيز على الخبرة الإنسانية واستخدام الحواس كأساس للمعرفة العلمية الحقة. فاعتماد الحواس يحَّرر الناس ويعطيهم قيمتهم، والحس يقلَّل إلى أقصى حد من قيمة المصدر الدَّيني. ولقد كان للسير فرانسيس بيكون أثر بارز في توجيه العلم للاقتصار على الخبرة الحسِّية وتأسيس الاتجاه الحسي "Empiricism". ويقابل هذا الاتجاه العقلاني "Rationalism"

الذي يقلّل من شأن الحس. وكان رينيه ديكارت مؤسِّساً لهذا الاتجاه [1].وتبعاً لذلك فإنّ مصادر المعرفة انحصرت في مصدرين:

1) المحسوس عن طريق الملاحظة والتجربة

فقد كان من نتائج الصراع بين الكنيسة والعلماء أن تحولت المعرفة إلى معرفة بشرية خالصة ومحصورة في الواقع المشاهد ، فالمحسوس والمشاهد الذي يخضع للاستقراء والتجربة والقياس الكمي وحده العلم وماعداه – وكل ما لا يخضع للاستقراء والتجربة والقياس الكمي لايعتبر علماً، وتعتبر قضاياه بلا معنى "Meaningless". وهذه هي الروح العلمية التي بلورها بيكون، حيث الاقتصار على ما هو موضوع أمامنا في العالم الواقعي التجريبي، والإنصات لشهادة الحواس كمصدر للمعرفة، والطبيعة هي مملكة المعرفة ويجب الحيلولة دون أن يتجاوزها العقل. وعلى مدار العصر الحديث تبارى الفلاسفة الإنجليز في تأكيد التجريبية والنظرية الحسية في المعرفة والعزوف عن الميتافزيقيا. وبلغت الذروة مع جون لوك "1632–1704" الذي رفض الادعاء بوجود أفكار مفطورة في العقل البشري ترتكز عليها المذاهب العقلية المقابلة للتجربة. وأكّد لوك أنّ العقل يولد صفحة بيضاء، ثم تخطها المعطيات الحسَّية والتجربة [2]. وهذا هو منطلق الفلسفة الوضعية "Positivism" وأساسها المكين.

2) العقل

تتلخص مصدرية العقل للمعرفة في القول بأنّ المعرفة البشرية قائمة على التصور والتصديق، فالتصور هو الإدراك البسيط لمعاني الأشياء كتصور معنى الحرارة والنور، والتصديق هو الإدراك المنطوي على حكم كالحكم بأنّ النار محرقة. وهذا المذهب بدأ مع أفلاطون من خلال نظريته في التذكر التي تقوم على أساس أن التصورات كامنة في النفس البشرية، وأنها تتبعث منها تباعاً فمصدرها النفس. ثم تطور القول بمصدرية العقل مع ديكارت، وخلاصة رأيه:

---

[1] امزيان : مصدر سابق ، 65–66.

[2] د.عبد الله محمد الأمين: قراءة في فلسفة العلم في القرن العشرين ، تفكُّر ، م (5) ع (1) ص 144–145.

أنّ المبادئ الأولية تكمن في التصورات وأنّ هذه التصورات تمثّل أفكاراً بسيطة "مطلقات المعرفة"، وهي التي تتكون منها جميع العلوم بعد ذلك[1].

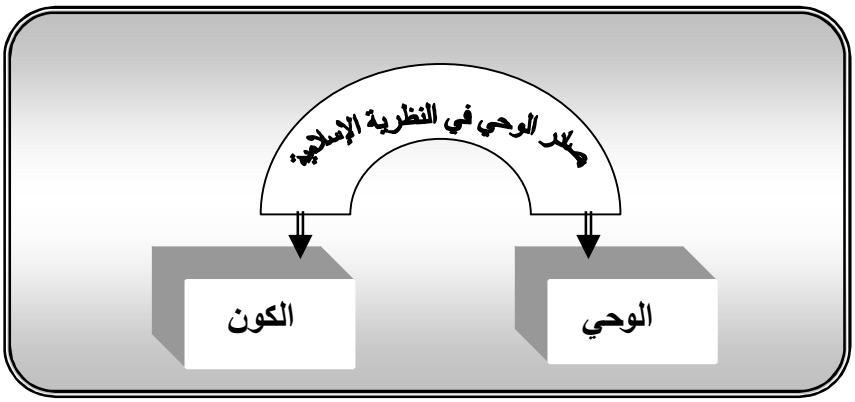
إلا أن هذا الاتجاه الذي جعل العقل مصدراً للمعرفة قد بدأ يتلاشى نتيجة للنجاحات التي حققها المنهج التجريبي.

إنّ الدارس لكلام المذهبين الغربيين يلاحظ إبعاد الوحي نهائياً من مصادر المعرفة، مما يعني انحصار العلم في عالم الشهادة، الذي غدا المصدر الوحيد للمعرفة. نتيجة لانحصار الفلسفة الغربية في دراسة الواقع المحسوس أو عالم الشهادة، فقد تمركزت حول الذات الإنسانية والطبيعية، وأدى هذا إلى تأليه الإنسان والطبيعة، حيث الإيمان العميق بالعالم الطبيعي على أنّه العالم الوحيد الذي يسعد فيه الإنسان ويجد فيه مطالبه ويلبي حاجياته المادية والروحية ، والإيمان العميق بالإنسان على أنه مركز الثقل في العالم ، والإيمان بالعقل وحده على أنّه الوسيلة الوحيدة التي تضمن السيطرة على العالم وتسخير إمكاناته بالاعتماد على العلم.

2.3.4 مصادر المعرفة: في نظرية المعرفة الإسلامية

مصادر المعرفة لدى علماء المسلمين تنحصر في الوحي والعقل والحس. غير أنّ ثمة انتقادات وجِّهت لمصدرية العقل للمعرفة وذلك لأن العقل والحواس هي وسائل إدراك للكون المحسوس. وعلى هذا يغدو الكون هو مصدر المعرفة الثاني بالإضافة إلى الوحي.وهذا ما تنبه إليه المعاصرون حيث اتفقت رؤيتهم مع الرؤية القرءآنية، وذلك بجعلهم للوحي والكون مصدرين متناصرين للمعرفة.وبذلك يمكننا القول أن مصادر المعرفة في النظرية الإسلامية تنحصر في مصدرين هما :

[1]) أنظر الزنيدي : مصادر المعرفة ، ص 310 وما بعدها.



وسوف نتحدث عن الوحي والكون كمصدرين أساسين للمعرفة الإسلامية

◎ الوحي

حيث أنّ الوحي:

1- يمدنا بالمعارف اليقينية حول ما وراء هذا الوجود وما يتجاوز أبعاد الزمان والمكان، يضع الحدود العليا والضوابط النهائية لكل ما يجري فيه، مما ليس العقل والحواس مؤهلين- وحدهما- لإدراك وجه الحق فيه دون هداية؛ فالمعلومات التي يقدَّمها الوحي صادقة ويقينية، والمصادر الأخرى مهما كانت فائدتها فهي ليست مصادر يقينية ولا يمكن أن تقدَّم إجابات واضحة ودقيقة للتساؤلات المطروحة.

2- كما يمدنا الوحي بمعارف يقينية حول كليات السنن الإلهية السارية في هذا الوجود، خصوصاً ما اتصل منها بالإنسان المكرَّم المستهدف بهداية الوحي.

وهذه المعارف هي معارف تتعلق بماضيه وحاضره وتمتد إلي استشراف مستقبله، وتسجل تنبؤات صادقة. حول الأحداث العظمى التي سوف تتجه إليها البشرية. والوحي على هذا يعتبر الوثيقة التاريخية الوحيدة القادرة على الامتداد إلى أول مرحلة من مراحل الإنسانية وهي المرحلة التي تعجز البيانات الأخرى عن تغطيتها؛ فالمعرفة التي يقدمها الوحي تقترن بنزول آدم عليه السلام.

3- ويستوعب الوحي في تفصيلاته حقيقة الإنسان في أصله وخلقه وتكوينه وحركته على الأرض ومصيره المستقبلي.

◎ الكون

إنّ الكون بكل عناصره مصدر أساس من مصادر المعرفة الإسلامية. والدَّليل على ذلك هو تلك الآيات الكثيرة في القرءآن والتي تحث على التأمل والتدبر والتفكُّر في خلق السماوات والأرض وما بث الله في ثناياها من آيات دالة على عظمة خالقها وانفراده بالتدبير. وما يجدر ملاحظته أنّ الكون هو منشأ الظواهر الطبيعية والاجتماعية وهي مجال دراسة الإنسان من خلال وسيلتي السمع والبصر. ولكن لا بد من مدخل الوحي إلي الكون إذا أردنا أن نفهم الكون بالطريقة التي تنجم عنها عبادة الله ومفهوم الاستخلاف، لأنّ الدخول علي بوابة الكون دون بوابة الوحي نتيجة العلمانية التي أفسدت كل شيء [1].

والواقع إنّ المبدأ الأساس للمعرفة الإسلامية هو افتراض التناسق بين مصادر المعرفة، وهذا المبدأ ينسجم مع مبدأ التوحيد الكامل. إذ أنّ هناك علاقة منطقية بين الوعي الوجودي بالوحدة والتناسق المعرفي والتوازن، ويعزى هذا إلى أنّ المعرفة كلها تأتي في نهاية الأمر من الله العليم مالك المعرفة المطلقة رغم اختلاف المصادر المعرفية. وقد أكّد علماء الإسلام وجود علاقة تكاملية لا تنافسية بين الوحي والكون "كمصدرين " والعقل "كوسيلة للإدراك "، إذ من الاستحالة بمكان احتمال وجود تناقض بين الوحي والعقل الخالص والكون.ويذهب ابن حزم إلى أنّ القرءآن حق موافق للعقل والإحساس معاً "[3].

وإجمالاً فإنّ نظرية المعرفة الإسلامية لا تقوم على أساس رفض معطيات الحس والعقل لأنّ الإسلام كان أول الداعين له؛ ولكن نظرية المعرفة الإسلامية لا تقف عند معطيات الحس

---

[1] د. بريمة : المعرفة بين الإسلامية والعلمانية.

[3] أحمد داؤود أوغلو: النماذج المعرفية الإسلامية والغربية ، مجلة إسلامية المعرفة ، العدد (22)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أمريكا،خريف 2000م، ص23-24.

- إبراهيم رجب : التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ص 147. وامزيان : منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية ، ص 269-217.

وحدها وإنما تضم إليها معطيات الوحي، وانعكس هذا الفهم على الافتراضات الأساسية التي يقوم عليها البحث العلمي في التصور الإسلامي.

أسئلة تقويم ذاتي



1- لخص مصدرية العقل تجاه المعرفة.
2- النظرية الغربية هل تؤمن بالوحي؟
3- عرّف جون لوك العقل – اكتب التعريف ثم ناقشه مع زملائك.

هنالك افتراضات أساسية يقوم عليها البحث العلمي في النظرية الإسلامية تدور في ثلاثة محاور هي :

1- وحدانية الخالق ووحدة الخلق

فوحدانية الله هي محور التصور الإسلامي والإيمان بالله هو العامل الأول والمهم في توجيه سلوك الإنسان ، ووفقاً لهذا التصور فالمسلم يؤمن بالله خالق هذا الوجود ومدبِّره ويعرف اتصافه بالكمال وإطلاق الإرادة والتصرف ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ (الاعراف ككك) ويترتب على وحدانية الخالق وحدة الخلق، أنّ الكون نظام واحد متكامل لأنّه من صنعة خالق واحد ، والنظام الكوني يتكون من قوانين الطبيعة التي ليست إلا سنن الله السارية في خلقه المادي أو النفسي أو الاجتماعي أو الأخلاقي.

2- وحدة الحقيقة ووحدة المعرفة

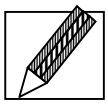
ويترتب على ما سبق أنّ العقل بما أودع الله فيه من قوة مدركة للمعاني، والوحي الذي أرسل الله به رسله يتكاملان ويتكاتفان على فهم الغايات والأسباب، فالوحي يوجه العقل في المجالات التي تخرج عن قدرته على المعرفة والإحاطة والإدراك. وتتمثل تلك المجالات في ما يتصل بعالم الغيب الذي يعتبر هو النظام المعرفي الحاكم على عوامل المعرفة كلها على أساس أنه هو عالم البقاء والدوام في حين أنّ عالم الشّهادة زائل. كما تتمثل في مجالات عالم الشهادة، من حيث إضفاء المعنى على المدركات الجزئية لذلك العالم من جهة ومن حيث ربط تلك

المدركات –مرة أخرى– بعالم الغيب. أما العقل فدوره هو توجيه الملاحظات أو المشاهدات الحسية بشكل يضفي عليها شيئاً من المعنى، حتى تتيسر الحياة حتى لأولئك الذين لم تصلهم رسالات الرسُل.

3– تكامل الوحي والعقل والحواس

حيث أنّ نظرية المعرفة الإسلامية تقوم على وحدة الحقيقة المستمدة من وحدانية الله الذي يملك الحقيقة الكاملة، سواء في ذلك الحقائق اليقينية التي يوحي بها إلى رسله، أو الحقائق الاجتماعية التي تركت لاجتهاد البشر في اكتشاف السنن الكونية. وإذا كان الوحي لا يكتفي في إرشادنا على المغيبات، وإنما يرشدنا أيضاً إلي جوهر القوانين الطبيعية والسنن الإلهية التي يسير عليها الكون والغاية منها فإننا نتوقع التطابق التام بين ما نصل إليه من مشاهدات حسية محققة وبين ما يأتي به الوحي من حقائق يقينية.

تدريب(9)



1– اكتب الآية التي تدل على أن الله له التصرف في الإرادة
2– يوجه الوحي العقل في مجالات تخرج عن قدرته على المعرفة والإحاطة والإدراك وأهم شئ يقوم الوحي بتوجيهه إلي العقل هو...
أكمل العبارة السابقة مستفيداً مما قرأت. عن وحدة الحقيقة ووحدة المعرفة.

عزيزي الدارس، سنحاول أن نوضح أهم النقاط والمرتكزات فيما بيناه سابقاً، نرجو منك الانتباه وبدقة وتأني في هذه النقاط والمرتكزات وهي :

أولاً : إن النموذج الغربي الذي يعبَّر عن الرؤية الفلسفية الغربية قد عجز عن الإجابة عن التساؤلات النهائية التي تتصل بالإنسان ووجوده ومصيره وموقفه من الوجود ككل. على الرغم من أنّ هذا النموذج يقدمُّ باعتباره النموذج العالمي الأرقى.

ثانياً : كنموذج للخلل في مدارس هذا النموذج الفلسفي فإنّ المثالية أحالت الوجود الموضوعي للأشياء إلى مجرد أفكار وخواطر، واستخفت بعالم الشهادة بينما ألغت الواقعية قيمة الفكر في مقابل الوجود الخارجي. وجعلت الفكر مجرد انعكاس لذلك الوجود. يضاف إلى ذلك أن التمركز

حول الذات أو الشخصية الإنسانية هو منطلق المثالية. فالحقيقة النهائية ليست ذات طبيعة خارجية مادية أو واقعية وإنما هي ذات طبيعة ذاتية.

ثالثاً : لقد برزت المدارس الفلسفية الغربية في أول أمرها داخل وسط لا يشجع على العلم والمعرفة نتيجة لاستحواذ المعرفة اللاهوتية الكنسية على المعرفة عموما، ونتيجة لهذا فقد كان توجه الفلسفة توجها علمانياً معادياً للدين، فصارت قضايا الدين والغيب والأخلاق قضايا لا معنى لها لأنها غير قابلة للتحقق والاختبار التجريبي [1].

رابعاً: إنّ العلم المعاصر – رغم المفهوم الغربي الضيق له– يقدَّم نفسه على أنه موضوعي تجريبي مبرأ من العيوب، إلا أنّ بعض العلماء قد احتجوا على مناهج المعرفة المعاصرة، وذكروا أن هذه الأدوات التجريبية ليست كافية في الوصول إلى المعرفة، وأنه لا بد من طريقة جديدة للمعرفة ولا بد كذلك للعلم من معنى أوسع. إذ إنّ ملحد القرن التاسع عشر قد حرق البيت بدلاً من أنّ يعيد ترميمه. فلقد رمى بجميع الأسئلة التي طرحها الدين وبإجاباتها معاً ، وأدار ظهره لكل مقررات الدين لأنّ القائمين على الدِّين قد خرجوا عليه بإجابات لا يستطيع قبولها. ولكن اليوم وقد أصبح العالم أكثر معرفة واستنارة فقد اتضحً لديه أنّ موضوعات البحث الدِّينية ومباحث الدِّين والأسئلة التي يطرحها الدين حول النشأة والوجود والمصير هي قضايا علمية تستحق الاحترام الكامل. وهي قضايا عميقة الجذور في الطبيعة البشرية ويمكن دراستها وتمحيصها بأسلوب علمي رصين. وأنّ الكنيسة كانت تحاول الإجابة عن أسئلة رفيعة صحيحة. وهي وإنْ أخطأت الإجابة فإنّ الأسئلة نفسها كانت تستحق القبول والتبرير الكاملين"[2].

---

[1] راجع في طرح المذهب الوضعي المنطقي الرافض للغيبيات واعتراضات كارل بوبر " مبدأ التحقق ومبدأ التكذيب " واعتراضات كواين ولا كتوس على التصور الوضعي المنطقي وبوبر:

- زكريا بشير : نحو منهجية إسلامية للعلوم ، بحث منشور ضمن أعمال ندوة : نحو برنامج للبحث العلمي في إسلام العلوم ، معهد إسلام المعرفة ، مدني ، جامعة الجزيرة 1994م ، ص 55–67.

[2] راجع : أبراهام ماسلو : خطر الانشقاق بين الدين والعلم ، ترجمة د. ماجد عرسان الكيلاني ، مجلة الأمة ، قطر ، ربيع الأول 1401، ص 19 وأيضاً كتاب فلسفة التربية الإسلامية لماجد عرسان ص 254 وما بعدها.

- Abraham Maslow :"Forward" in The Third force by Frank G.Globe,New York , pocket books 1970,P.X.

خامساً : إنّ الحديث عن اطِّراح الفلسفة الغربية للمعرفة اللاهوتية يوضح أنّ الوحي كمصدر معرفي لم يكن مقبولاً لدى المدارس الفلسفية الغربية، مما جعل معرفتها تقتصر على عالم الشهادة؛ أي بمنظور القرءآن اقتصر علمهم على"ظاهر الحياة الدنيا". ولما كان علمهم قاصراً على الحياة الدنيا فإنّ هذه الفلسفة عملت على تضخيم الذات العارفة بجعل الإنسان مركزاً للكون، وهذا يعني أنّ هذا العلم يسعى لتحقيق اللذة والمنفعة للإنسان؛ أي إشباع غرائزه فظهر الخواء الروحي في العالم المعاصر وتعالت الصيحات المنذرة بالخطر(*).

سادساً: إنّ نظريات المعرفة الغربية وتحت وطأة " مبدأ الصراع بين الأضداد"، والنظرة الأحادية الضيقة إلى الوجود الإنساني قد فشلت في تقديم نظرية للمعرفة متكاملة ومتوازنة. وزاد من وطأتها إلى حدود بالغة النزوع دائماً إلي القول " بمحورية الإنسان الفرد"، فحرمت الإنسان من الاهتداء بالوحي الإلهي، وأحالت الحياة إلى عبثية فتنامت على ساحتها مشكلات حياتية مزمنة لا يرجى منها برء (1).

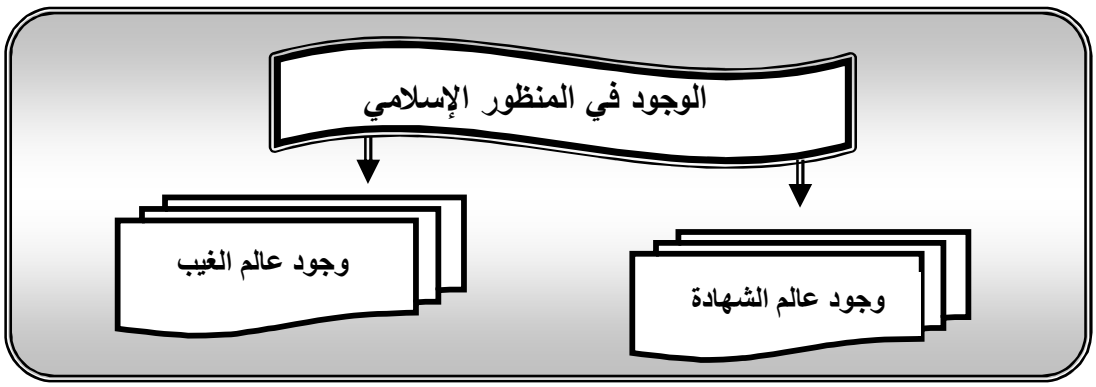
سابعاً : إنَّ النموذج الإسلامي المنبثق من الوحي على عكس النموذج الغربي العلماني يقدم إجابات عن الأسئلة النهائية، و يقدم الوجود على المعرفة ويجعلها تابعة له. ويؤمن بأن الله سبحانه وتعالى هو المحيط بكل شيء علماً، وأنّ الإنسان مخلوق لله تعالى وجزء من الوجود – لا الوجود ذاته مع كونه متميزاً بالعقل الذي هو مناط التكليف.

ثامناً : إنّ الوجود في المنظور الإسلامي شقان :

- Harry Schofield : The philosophy of Education , London, George Allen and Unwin , 1982, pp.61-63.
- Jonas E. Salk:The Survival of the Wisest , New York,Harper and Row publishers 1973, pp.IX-X-
- Theodore Roszak: Where the Wasteland Ends , New York , Doubleday and Co , INC,1972,PP. 152-164.

(*) راجع البحث القيم الذي كتبه د. عبد الوهاب الشيشاني بعنوان المعرفة بين الإسلامية والعلمانية ضمن بحوث " نحو برنامج للبحث العلمي في إسلام العلوم ، جامعة الجزيرة 1994م ، ص 68 وما بعدها لمعرفة أزمة إنسان الحضارة الغربية.

(1) AL-TTASS,S.N.,;Islam and Secularism,p.14.



وما لاشك فيه أنّ انغماس الفلسفة في دراسة جانب مع اطراح الجانب الآخر من شأنه توليد معرفة مبتورة، أما القرءآن فإنّه يربط هذين العالمين بحيث لا ينفكان عن بعضهما. وعلى ذلك فإنّ الحقيقة العلمية في النموذج الإسلامي ليست حكرا على التجربة. و الوجود الواقعي ليس حكراً على الوجود المادي أصلاً.

تاسعاً: إن الوحي في النموذج الإسلامي مصدر مهم للمعرفة، ولقد انعكس ذلك على المعرفة ذاتها وطبعها بطابع الصدق واليقينية. وهذا ما يميز النموذج الإسلامي عن النموذج العلماني الذي رفض الوحي مصدراً للمعرفة، فانعكس ذلك سلباً على المعرفة وطبعها بطابع الظنية والدنيوية.

نشاط(4)



راجع في طرح المذهب الوضعي المنطقي الرافض للغيبيات واعتراضات كارل بوير"مبدأ التحقق ومبدأ التكذيب"، وراجع بحثاً منشوراً بعنوان" نحو منهجية أسلامية للعلوم" للدكتور زكريا بشير – معهد إسلام المعرفة .

أسئلة تقويم ذاتي



1- بماذا احتج علماء المسلمين على مناهج المعرفة المعاصرة؟
2- ما رأي الفلسفة الغربية في الوحي كمصدر للمعرفة؟
3- تحدث عن "مبدأ الصراع بين الاضداد" في النظرية الغربية؟
4- الوجود من منظور إسلامي شقان ما هما؟
5- الوحي في النموذج الإسلامي مصدر مهم للمعرفة وانعكس ذلك على المعرفة وطبعها بطابع تميزت به وضح ما هو الطابع هل هو طابع : الصدق واليقين أم طابع الظنية ؟

الخلاصة

ومهما يكن من أمر فإن مواضع الخلاف الأساسية بين الفكرين الغربي والإسلامي في صياغة النظرية المعرفية تتلخص في [1]:

أولاً: إنّ النظرية المعرفية في الفكر الغربي الحديث قد حدّدت الإطار العام لنظريات الوجود، فجاءت الثانية صدى ورجعاً لمحددات نظرية المعرفة بأصولها المادية والطبيعية والحسية ، فولد ذلك ظاهرة الاعتماد المتبادل بين الانطلوجيا "نظرية الوجود" والابستمولوجيا "نظرية المعرفة" في التقليد الفلسفي الغربي العام، خلافاً للفكر الإسلامي الذي تولدت النظرية المعرفية فيه من رحم عقيدة التوحيد الخالص والتي حددت بدورها معالم النظرة الكلية للوجود.

ثانياً: إنّ النظريات العامة عن الوجود في الفكر الغربي ترتد في أصولها الأولى والمنشئة لها إلى التراث اليوناني– الروماني الغارق في الوثنية والتعددية، ولقد نتج عن هذا التصور نزعات فلسفية مثل المادية والطبيعية والارتيابية الشكية والنسبية الأخلاقية، وهي تيارات فكرية تجد لها أنصاراً وأتباعاً في الاتجاهات العامة للفلسفة الغربية الحديثة مثل: النزعات التجريبية الخالصة عند جون لوك والتطورية الوضعية عند أوجست كونت والذرائعية عند وليم جيمس.

ثالثاً : إنّ هذه النزعات في مجملها كانت وليدة القول بمحورية الإنسان الفرد الصمد "Anthropocenterism" وهي النزعة التي دشنتها في الفكر اليوناني القديم السفسطائية فانحسر جرّاء ذلك المسافة الفاصلة بين الخالق والمخلوق. وجاءت عقيدة الحلول المسيحية تكريساً لهذا الأمر. وانفرج المجال واسعاً أمام النزعات العلمانية والإلحادية بسبب غياب التفرقة

---

[1] أنظر ورقة الدكتور أحمد داوود أوغلو الموسومة ب: النموذج الغربي : نظرية المعرفة من النزعة التجزيئية إلى الحقيقة وعلمنة المعرفة Ahmed Dauut Oghlu: Comparative Analysis and Western Epistemological paradigms

وتعقيب الدكتور عرفان عبد الحميد فتاح عليها ، ص 4–7. وذلك ضمن أوراق ندوة النظام المعرفي الإسلامي ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي عمان / الأردن 10–1998/6/11م. ونشرت الورقة ضمن الأوراق ،

– أنظر : فتحي حسن الملكاوي : نحو نظام معرفي إسلامي ، حلقة دراسية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ،الأردن،2000م ، ص115–149.

الواضحة بين عالم التنزيه وعالم الخلق.

رابعاً: تولد عن غياب التفرقة بين عالم التنزيه الإلهي وعالم الخلق في الفلسفة الغربية غياب الفصل وحدود التمايز بين المرجعيات الكبرى النهائية للمعرفة من حيث مصدرها ووسيلة اكتسابها وطرائق التحقق من صدقها ، فتم بذلك النظر إلى علاقة الوحي والكون على أنها ليست علاقة تكاملية أو تساندية بل إنّ الإقرار بواحد منهما مصدراً للمعرفة ينسخ شرعية الآخر في نظر الفلسفة الغربية ، وهذا أمر ليس بالصحيح حسب الرؤية الإسلامية.

لمحة مسبقة عن الوحدة التالية

إن المعضلة الكبرى في المعرفة الإنسانية تكمن في تلك الآثار التي خلقها استبعاد الوحي عن مضمار المعرفة وهذه نظرية غربيةتستبعد الوحي من مصادر المعرفة ولذلك جاء الحديث في الوحدة التالية عن الوحي مصدراً للمعرفة.

إجابات التدريبات

تدريب(1)

من معاني النظرية:

(1) بناء فرضي ورأي لعالم فيلسوف حول مسألة أو مشكلة.

(2) تركيب عقلي يتوصل به إلي تفسير عدد كبير من الجزئيات.

(3) الإطار الفكري الصريح الذي يربط بين الوقائع والمفاهيم والفروض والقوانين.

تدريب(2)

تكون المعرفة ظنية لعدم تعريض الاعتقاد الجازم أصلاً

تدريب (3)

ينتقل العلم إلي مرحلة التقليد إذا لم يطابق الواقع عن دليل.

تدريب(4)

تقوم عملية المعرفة على عدة أشياء :

1- عمليات الإدراك الحسي.
2- التذكر والتعرّف والتمييز بين الأشياء.
3- التخيل.
4- الاستقراء والاستنباط.
5- الاستنتاج.
6- الحكم.
7- التفكير.

تدريب(5)

1- تيار المادية التجريبية.
2- تيار المثالية العقلية.

تدريب(6)

أنه يمكن الوصول للحقيقة النهائية من خلال المعرفة المتمحورة حول الإنسان فقط عن طريق التجربة، إذ أن المعرفة عندهم لا تتعدى عالم المادة والحس بعد أن صار الوحي بكافة معطياته الغيبية غير منظور إليه في العصر الحديث.

تدريب(7)

1- إن الله هو أصل العلم والمعرفة وهو العالم المطلق الذي وسع علمه كل شئ أي أن علم الله ليس محدوداً.

تدريب(8)

تعتمد نظرية المعرفة الإسلامية على :

1- التوحيد

تدريب (9)

1- قال تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ (الاعراف ككا)

2- يوجه الوحي العقل في ما يتصل بعالم الغيب الذي يعتبر هو النظام المعرفي.

المصادر والمراجع

القرءآن الكريم

1- ابراهيم أحمد عمر (1992) ، **العلم والإيمان** ، مدخل إلي نظرية المعرفة في الإسلام ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي

2- أحمد عبد الرحيم السائح (1983) ، **المعرفة بين الفلسفة والإسلام** – مجلة هدى الإسلام 27 العدد الرابع.

3- أبوبكر محمد بن الطيب الباقلاني (1957) ، **التمهيد في الرد على الملاحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتذلة** – بيروت.

4- أبو الحسن على بن اسماعيل الأشعري (1969)، **مقالات الإسلاميين وإختلاف المصلين** ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط2 ، دار النهضة المصرية.

5- أحمد أوغلو(2000)، **النماذج المعرفية الإسلامية والغربية** ، **مجلة إسلامية المعرفة** ع22 المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

6- بن أ.و (1958)، **تاريخ الفلسفة الحديثة** ترجمة عبد المجيد عبد الحليم ط1،مكتبة الأنجلو – القاهرة.

7- الفخر الرازي (1323هـ) ، **محصل أفكار المتقدمين والمتأخرينمن الفلاسفة والمتكلمين** – القاهرة

8- الراغب الأصفهاني (1985) ، **الذريعة إلي مكارم الشريعة** ،تحقيق أبو اليزيد العجمي ط1 ، دار الصحوة القاهرة.

9- راجح الكردي ( )، **نظرية المعرفة بين القرءآن والفلسة** ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ومكتبة المؤيد – الرياض.

10- زكريا بشير (1994)، **نحو منهجية إسلامية للعلوم** ، بحث منشور في ندوة نحو برنامج للبحث العلمي في إسلام العلوم ، معهد إسلام المعرفة – مدني.

11- عبد الوهاب الشيشاني (1994)، **المعرفة بين الإسلامية والعلمانية** ، بحث منشور في

ندوة نحو برنامج للبحث العلمي في إسلام العلوم معهد إسلام المعرفة – مدني.

12- عبد الرحمن الزنيدي(1992) ، **مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ومكتبة المؤيد** ، الرياض.

13- علي بن محمد الجورجاني (1992) ، **التعريفات** – تحقيق ابراهيم الأبياري ط2 ، دار الكتاب العربي.

14- عبد الجبار بن أحمد القاضي ( ) ، **المغني في أبواب التوحيد والعدل** ، النظر والمعارف ج12.

15- عبد القاهر بن طاهر بن محمد الأسفراييني (1928)، **أصول الدين ط1**.

16- فيتشة (1963) ، **غاية الإنسان ترجمة فوقية** حسين ،مطبعة الأنجلو – القاهرة.

17- مراد وهبة (1979) ، **المعجم الفلسفي**،ط3 دار الثقافة القاهرة.

18- محمد الحسن بريمة (1993) ، **المعرفة بين الإسلامية والعلمانية** ، معهد إسلام المعرفة.

19- جعفر عباس حاجي ( ) ، **دراسة مقارنة لأهم الأسس والمفاهيم المتعلقة بنظرية المعرفة في الإسلام وبقية المذاهب الفلسفية الأخرى** ، مكتبة الألفين – الكويت.


الوحدة الثالثة
الوحي مصدراً للمعرفة

محتويات الوحدة

الموضوع	الصفحة
المقدمة	**86**
تمهيد	**86**
أهداف الوحدة	**87**
1. مفهوم الوحي	**89**
1.1 معنى الوحي في اللغة	**89**
2.1 المعنى الاصطلاحي للوحي	**90**
2. مفهوم القرءآن	**90**
1.2 معنى القرءآن في اللغة	**90**
2.2 المعنى الاصطلاحي للقرءآن	**91**
3. مفهوم السنة	**92**
1.3 تعريف السنة في اللغة	**92**
2.3 تعريف السنة في الاصطلاح	**93**
4. الفرق بين القرءآن والسنة	**94**
5. خصائص الوحي	**95**
6. مصدرية الوحي للعلوم الطبيعية والاجتماعية	**122**
الخلاصة	**132**
لمحة مسبقة عن الوحدة التالية	**133**
إجابات التدريبات	**134**
المصادر والمراجع	**137**

المقدمة

تمهيد

عزيزي الدارس، مرحباً بك إلي الوحدة الثالثة من مقرر " مصادر المعرفة الإسلامية" والتي بعنوان " الوحي مصدراً للمعرفة".

وقد بدأت هذه الوحدة بما ذهب إليه علماء الغرب من اعتقاد بأن الوحي ليس مصدراً من مصادر المعرفة لأنهم يؤمنون بعالم الشهادة دون عالم الغيب.

ثم تناولت من بعد ذلك الوحي كمصدر من مصادر المعرفة مدعمة ذلك بكثير من الأدلة العقلية والنقلية. والقرءآن مصدر ذلك كله.

وبحثت الوحدة كذلك علاقة القرءآن بالسنة وعلاقته بالكتب السماوية الأخرى. وقد تم تفصيل القول في كل ذلك.

وأوردنا لك عزيزي الدارس، مجموعة من التدريبات لتقوم بحلها، ومجموعة من أسئلة التقويم الذاتي يتحتم عليك الإجابة عنها من المادة المطروحة. لإكساب العقل المفاهيم العلمية للمادة.

وعليك أن ترجع إلي المراجع التي ذكرت لك في النشاطات داخل الوحدة حتى تضيف لمادتك العلمية الكثير من المعلومات المفيدة ونتمنى لك عزيزي الدارس التوفيق والنجاح.

أهداف الوحدة



عزيـزي الـدارس، بعـد دراسـتك لهـذه الوحـدة ينبغـي عليـك أن تكـون قـادراً على أن:

- **تتعرف** على مفاهيم الوحي والقرءآن والسنة.
- **تتبين** الفرق بين القرءآن والسنة.
- **تُعدِّد** الخصائص الكثيرة التي تفرد بها الوحي القرءآني دون غيره من الكتب الأخرى.
- **تتعـرف** علـى العوامـل التـي سـاهمت فـي إقـصاء الـوحي كمصدر معرفي في النظم التعليمية لدى المسلمين اليوم.
- **تعزز** قناعتك بأن الوحي مصدر للعلوم.

1.الوحي

عزيزي الدارس، إن المعضلة الكبرى في المعرفة الإنسانية تكمن في تلك الآثار التي خلفها استبعاد الوحي عن مضمار المعرفة ؛ إذ أعقب ذلك مشكلات منهجية وعقبات معرفية ضخمة. ومن المعلوم أن الظروف التي تعرض لها الفكر الغربي فأفضت إلي إلقاء الوحي وراء الظهور إنما هي ظروف في غاية الخصوصية وشديدة التعلق بالفكر الغربي نفسه ؛ إذ لم يتعرض العالم الإسلامي لمثل تلك الظروف العصيبة، ولم يمر بتلك المحن المعرفية الصعبة أصلاً. حيث أن العلم والدين في الإسلام مرتبطان ببعضهما أشد ما يكون الارتباط وذلك بخلاف الفكر الغربي الذي شهد صراعاً رهيباً بين رجال الدين ورجال العلم فكانت عاقبة ذلك الصراع أن تم إقصاء الوحي عن مضمار المعرفة، فصار بزعمهم" ما لله لله وما لقيصر لقيصر". وانحسر الدين واقتصر على الكنيسة دون أن يكون له دور فاعل في تشكيل حياة الناس ومعارفهم؛ وبذلك صار المصدر الوحيد للمعرفة–عندهم– هو عالم الشهادة الحسي.

ولما انحسر دور الدين وتم حصر المعرفة في عالم الحس دون عالم الغيب الذي طريق المعرفة به هو الوحي لا غيره– فقد أفضى ذلك إلى خلل منهجي واضح في بناء العلوم وصياغتها. ولم يقتصر هذا الخلل على علم دون علم أو تخصص دون آخر وانما عمَّ جميع العلوم– كما سيأتي. وإن كان أثره في العلوم الإنسانية والاجتماعية أكثر وضوحاً؛ حيث أن هذه العلوم قد احتلت المكانة التي كان يحتلها وحي السماء في إرشاد الناس وتوجههم. وهذه العلوم – كما هو معروف – تتعلق بكثير من الأمور الغيبية التي لا تستطيع فيها حيلة أو تهتدي إليها سبيلاً. ولذلك أعلنت هذه العلوم أزمتها وعجزها ليس في عالمنا الإسلامي فحسب وإنما في العالم الغربي أيضاً.

والحق أن الوحي يفتح أبواب الغيب ويقدم حلولاً لا يمكن الوصول إليها دون الاستعانة به. ولأجل ذلك صارت إعادته إلى مضمار المعرفة ضرورة معرفية اقتضاها تطور العلوم من جهة وعجزها عن حل كثير من المشكلات المستعصية من جهة أخرى كما سيأتي.

وإذا علمنا أنّ إعادة الوحي إلى مضمار المعرفة ضرورة منهجية ومعرفية- فمن الأهمية بمكان توضيح خصائص هذا الوحي في الإسلام؛ حتى يمكن التعامل معه بصورة منهجية في إطار المعرفة.

عزيزي الدارس، دعنا نتعرف في البدء على مفاهيم الوحي والقرءآن والسنة في الصفحات التالية من هذه الوحدة.

1. مفهوم الوحي

1.1 معنى الوحي في اللُّغة

الوحي في اللغة يعني الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي ؛ يقال: أوحيت إليه : إذا كلمته بكلام أخفيه [1].

وقد جاء الوحي في القرءآن العظيم بمعان لغوية متعددة لم يكن المقصود بها الوحي الإلهي المعروف وهي:

1-الإشارة السريعة: ومنها قوله تعالى عن زكريا عليه السلام عندما جعل آيته له هي عدم استطاعته الكلام﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾ (مريم 11)

أي أشار اليهم دون أن يتكلم.

2- الإلهام الغريزي للحيوان: ومنه قوله تعالى﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ ﴾ (النحل 68)

3 -الإلهام الفطري للبشر:ومنه قوله تعالى﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ ﴾ (القصص7)

4- وسوسة الشياطين :ومن قوله تعالى﴿ شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا ﴾ (الأنعام 112)

---

[1] الرازي مختار الصحاح ، تحقيق محمود خاطر دار مكتبة لبنان 1995م ص 297.

2.1 المعنى الاصطلاحي للوحي

إن المعنى الاصطلاحي الذي نقصده ونهدف إليه في دراستنا هذه هو ما يلقيه الله سبحانه وتعالى إلى أحد أنبيائه ورسله؛ مثل إنزاله القرءآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وإنزاله الإنجيل على سيدنا عيسى عليه السلام وإنزاله التوراة على سيدنا موسى عليه السلام وإنزاله الزبور على سيدنا داود عليه السلام.

ولا شك أن الجانب الذي يهمنا في هذه الدراسة هو ذلك الوحي المنزل على سيدنا محمد(ص)، إذ أننا –وإن كنا نؤمن بكافة الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين– إلا أننا نجد عمليا أن تلك الكتب قد تغيرت عن أصلها الأول الذي أنزلها الله بها واعتراها من التبديل والتغيير ما اعتراها؛ ولأجل ذلك لا يمكن الاعتماد عليها.

وإذا اقتصرنا على ما أنزل على محمد (ص) فإننا نجد أن الوحي عنده ينقسم إلى قسمين هما:

1– القرءآن الذي أنزل عليه بلفظه ومعناه كما سيأتي.

2– السنة التي أوحيت إليه من الله بمعناها وان كان اللفظ من قِبَلِه(ص)

2. مفهوم القرءآن

1.2 معنى القرءآن في اللغة

كلمة "**قرءآن**" في اللغة تشير إلى معنى الجمع والضم [1]. وقد سمى القرءآن بذلك عند العلماء لعدة أسباب منها

1– لأنه جامع لثمرة جميع العلوم [2].

2– لأنه جامع لثمرة الكتب السماوية التي أنزلها الله من قبل[3].

3– لأنه جامع للسور [4]

---

[1] الراغب الأصفهاني : غريب القرءآن 402/1.

[2] المصدر نفسه

[3]المصدر نفسه.

[4] الرازي : مختار الصحاح تحقيق محمود خاطر ط مكتبة لبنان 1995م ص 220.

2.2 المعنى الاصطلاحي للقرءآن

لعلماء الإسلام تعريفات متعددة للقرءآن منها ما يلي :

1- يقول الشوكاني " حد القرءآن اصطلاحاً هو الكلام المنزل على الرسول (ص) المكتوب في المصاحف المنقول إلينا نقلاً متواتراً " [1].

* ومن خصائص هذا التعريف أنه:

أ) اخرج بقوله " المنزل على الرسول (ص) سائر الكتب السماوية الأخرى التي لم تنزل على محمد(ص) وانما أنزلت على غيره من الرسل.

ب)أخرج هذا التعريف من دائرة المعنى بقوله " المكتوب في المصاحف " الأحاديث النبوية والأحاديث القدسية التي لم تدون بالمصحف.

ج) أخرج بقوله " المنقول إلينا نقلاً متواتراً " القراءات الشاذة حيث أن القرءآن قد نقل بين المسلمين من أمة إلى أمة ومن جيل إلى جيل والقراءات الشاذة ليست كذلك.

2-عرف بعض العلماء القرءآن بقولهم " هو اللفظ العربي المنزل للتدبر والتذكر الذي نقل بالتواتر " [2]

من خصائص هذا التعريف أنه :

أ) أخرج بقوله " اللفظ العربي " الكلام غير العربي من الكتب السماوية وغيرها أي أخرج كل كلام غير عربي سواء كان من كلام البشر أو كان كتاباً منزلاً.

ب) أخرج بقوله " المنزل" ما ليس بمنزل من الكلام العربي.

3- يقول الشوكاني"قيل في حد القرءآن هو الكلام المنزل للإعجاز بسورة منه" [3].

ومن خصائص هذا التعريف أنه:

---

1) الشوكاني : إرشاد الفحول إلى علم الأصول ص 62. ومن خصائص هذا التعريف أنه:
. الشوكاني : إرشاد الفحول ص 62.

2) إرشاد الفحول ص 62..(إرشاد الفحول ص 63.)

3) إرشاد الفحول ص 64.

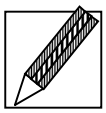
(إرشاد الفحول ص 64.)

(أ) أخرج بقوله " الكلام المنزل " سائر الكلام الذي لم ينزل كسائر كلام البشر فميز هذا التعريف بين كلامه تعالى وكلام غيره من ناحية وميز بين كلامه المنزل كلامه الذي لم ينزل من ناحية أخرى.

ب)أخرج بقوله " للإعجاز بسورة منه *"سائر الكتب السماوية والأحاديث النبوية والقدسية والمقصود بالإعجاز عند العلماء هنا ارتقاؤه في البلاغة إلى حد خارج عن طوق البشر

إلا أن الإعجاز إن تعدى البلاغة إلى المعنى فان الكتب السماوية الأخرى إن كانت على الهيئة التي أنزلها الله فيها أيضاً معجزة من ناحية المعنى من حيث دلالتها على صدق الأخبار وكذلك السنة الشريفة كما اثبت كثير من العلماء المحققين.

تدريب(1)



1- اذكر معنى الوحي في اللغة.

أسئلة تقويم ذاتي



تحدث عن المعنى الاصطلاحي للوحي.

3. مفهوم السنة

1.3 تعريف السنة في اللُّغة

لكلمة " **سنة**" في اللغة عدة معان منها:

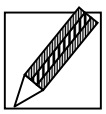
1- الطريق المسلوكة [3].

2-الدوام والطريقة المعتادة سواء كانت حسنة أو سيئة كما في الحديث " من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل

[3] إرشاد الفحول ص 67.

بها إلى يوم القيامة " [1] وسنة كل أحد ما عهد منه المحافظة عليه والإكثار منه سواء كان ذلك من الأمور الحميدة أو غيرها [2]. وفي الأصل تطلق السنة على الطريقة المحمودة وقد تستعمل في الطريقة المذمومة وتأتي في هذه الحالة مقيدة[3] بالصفة فيقال:" سنة سيئة " كما في الحديث السابق.

تدريب (2)



1- ما هي أقسام الوحي ؟

2- ما معنى القرءآن ولماذا سمى القرءآن بذلك ؟

2.3 تعريف السنة في الاصطلاح

للسنة معان اصطلاحية متعددة ، وذلك كالآتي [4]:

1- تطلق عند أهل الشرع؛ ويراد بها قول النبي (ص) وفعله وتقريره.

2- تطلق عند أهل الحديث بالمعنى العام؛ ويراد بها الواجب وغير الواجب.

3- تطلق عند الفقهاء؛ ويراد بها ما ليس بواجب وذلك في تقسيمهم للأحكام باعتبارها " واجب وسنة ومندوب ومكروه ومباح....الخ".

4- تطلق عند علماء العقيدة في معنى يقابل البدعة ؛ إذ يقال فلان من أهل السنة.

والمعنى الذي نريده في هذا المضمار هو المعنى الأول الذي هو كل ما صدر عن النبي (ص) من الأدلة الشرعية في أقواله وأفعاله وتقريراته، التي هي غير القرءآن [3].

4.الفرق بين القرءآن والسنة

---

1) الأحكام في أصول الأحكام 223/1.

2) الصنعاني : سبل السلام 104/2 ، إرشاد 67.

3) الامدى: الأحكام في أصول الأحكام 223/1 ، إرشاد الفحول ص 67

4) إرشاد الفحول 67.

(3) القرطبي : الجامع لأحكام القرءآن 384/3.

ذهب كثير من العلماء المحققين إلى أن السنة وحي وإرسال إلهي بالمعنى، لا باللفظ والمعنى معا كالقرءآن؛ ولأجل ذلك يذكر الإمام القرطبي أن رسول الله (ص) قد أوتى الوحي الباطن غير المتلو مثل ما أعطى الوحي الظاهر المتلو وهو القرءآن ؛ فيكون الوحي الوارد في السنة واجب العمل به ولازم القبول كالقرءآن تماماً.

ويقول الآمدى " إن الوحي منه ما يتلى ويسمى قرءآناً، ومنه ما لا يتلى ويسمى سنة"[4].

ويذكر ابن حزم أن الوحي ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: متلو معجز النظام " أي البلاغة" وهو القرءآن.

الثاني: مَرْوِيٌّ منقول غير مؤلف ولا معجز[1] "أي في البلاغة أيضا" ولأقوال هؤلاء العلماء التي ذكروها أدلة من القرءآن والسنة. أما الدليل من القرءآن فهو قوله تعالى

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (النجم 3-4)

و الدليل من السنة قوله (ص) :" ألا أني أوتيت القرءآن ومثله معه" [3]

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال: كنت اكتب كل شئ اسمعه من رسول الله (ص)أريد حفظه فنهتني قريش فقالوا: إنك تكتب كل شئ تسمعه من رسول الله (ص) ورسول الله بشر يتكلم في الرضا والغضب

فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله (ص) فقال:"اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق " [4].

والحق أن رسول الله (ص) بشر، ولكنه بشر موحى إليه، وهذا الاختلاف الجوهري بينه وبين سائر البشر يجعل كل كلامه وحياً ؛ قال تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ (الكهف 110)

---

[4] على بن محمد الأمدى الأحكام في أصول الأحكام 346/3.

[1] أبن حزم : الأحكام في أصول الأحكام 93/1.

[3] رواه أبو داود حديث رقم4604.

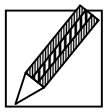
[4] رواه أحمد حديث رقم 6510.

وإذا ثبت أن كل ما صدر عن رسول الله (ص) وحي- فإنه من الضرورة بمكان بيان الفرق بين كلامه وكلام الله تعالى المتحدى به. ويكمن هذا الفرق في الآتي:

1-إن القرءآن العظيم صادر من الله تعالى بلفظه ومعناه ولأجل ذلك ثبت له الإعجاز في الأمرين كما سيأتي.

2-إن السنة الشريفة وحي صادر عن الله بمعناه لا بلفظه؛ إذ أن الألفاظ صادرة عن رسول الله(ص)ولأجل ذلك صح إعجاز السنة في الحقائق وصدقها،لا في البلاغة والنظم كما هو شأن القرءآن وسيأتي الحديث عن ذلك.

تدريب(3)



1-للسنة في الاصطلاح معانٍ كثيرة اذكرها ؟

2-اكتب ثلاثة من الأشياء التي يتميز بها القرءآن عن السنة ؟

5. خصائص الوحي

إن للوحي خصائص ومميزات وهذه الخصائص تشمل نوعي الوحي كليهما، إلا أنها من الدقة بحيث يمكن أن تختلف في كل من النوعين اختلافاً بيناً، وهذا أمر شديد الأهمية كما سيأتي. وهذه الفروق بين النوعين ليست بالكثيرة ولكنها جوهرية على كل حال كما سيأتي.

والحق أن بيان الخصائص من أهم الأمور المنهجية في تعاملنا مع الوحي، وذلك لأن التعامل المطلوب والمنهج المنشود لا يتأتى دون بيان هذه الخصائص من جهة ودون معرفة المسالك التي ينبغي أن تسلك من جهة أخرى.

وهذه الخصائص والمميزات التي يتميز بها الوحي في الإسلام أمور لابد من التعامل معها بفهم ودراية، إذ أن من شأن التدبر المصحوب بالفهم والدراية أن يهدي إلى الحق وإلى سواء السبيل. وتتمثل هذه الخصائص في الآتي :

1.5 إلهية المصدر

سبق أنّ كلاً من القرءآن والسنة – باعتبارهما وحياً – صادرين عن الله تعالى لا عن سواه، ولكن القرءآن صادر من الله لفظاً ومعنى، بينما السنة صادرة من الله بالمعنى فحسب.

2.5 الإعجاز

الإعجاز هو نسبة العجز إلى البشر عند التحدي، ومعلوم أن القرءآن العظيم قد تحدى البشر قاطبة في غير ما آية أن يأتوا بمثله فما استطاعوا، وقد بين الله تعالى استحالة الإتيان بمثل القرءآن ؛ وذلك كما في قوله تعالى:

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ (الإسراء 88)

وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ (يونس 37)

يقول الإمام القرطبي وذلك " لإعجازه ولوصفه ومعانيه وتأليفه" [1].

ويقول ابن عطية " وجه التحدي في القرءآن إنما هو بنظمه وصحة معانيه وتوالى فصاحة ألفاظه"[2]

ويقول ابن كثير:" القرءآن معجز من وجوه كثيرة منها فصاحته وبلاغته ونظمه وتراكيبه. وما تضمنه من الأخبار الماضية والمستقبلة، وما اشتمل عليه من الأحكام المحكمة الجلية " [3].

نشاط (1)



من المفيد عزيزي الدارس أن ترجع إلي كتاب إرشاد الفحول للوقوف على تعريف القرءآن الكريم كاملاً ص 67.

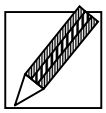
---

[1] القرطبي : الجامع لأحكام القرءآن 343/8.

[2] الجامع لاحكام القرءآن 76/1.

[3] بن كثير : البداية والنهاية 68/6.

تدريب(4)



ما هي مظاهر الإعجاز القرءآني التي استنبطها كل من الإمام القرطبي وابن عطية من الآية الكريمة " وما كان هذا القرءآن أن يفترى من دون الله " ؟

ويتضح لنا مما سبق أن الإعجاز عند العلماء ثلاثة أنواع هي :

1-إعجاز الفصاحة وجودة اللفظ؛ وحسنه بحيث لا يستطيع البشر الإتيان بمثله.

2-إعجاز النظم والتراكيب؛ بحيث لا يستطيع أحد أن يأتي بسبك مثل سبكه ولا تركيب مثل تركيبه ونظمه.

3- صحة المعاني؛ حيث أن القرءآن قد نزل من الله الذي أحاط بكل شئ علماً، فجاء لذلك صادقاً في أخباره الماضية والمستقبلة كما جاء عادلاً في أحكامه متوخياً مصلحة العباد فيها.

أسئلة تقويم ذاتي



1- استدل من القرءآن الكريم على أن السنة وحي من الله سبحانه وتعالى.

2- ما المقصود بكلمة "المتواتر"؟

3- أعجز القرءآن الكريم العرب وتحداهم في لغتهم وفصاحتهم فلم يستطيعوا أن يأتوا ولو بآية واحدة مثله.

أكتب دليلاً واضحاً من القرءآن الكريم يعضد ذلك المعنى.

عزيزي الدارس، بعد أن قدمنا لك عرضاً ميسراً عن إعجاز القرءآن الكريم نريد أن نتحدث الآن عن إعجاز السنة النبوية الشريفة.

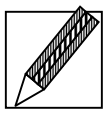
1.2.5 إعجاز السنة

لما كانت معاني السنة وحياً يوحى فإن المعاني والعلوم التي فيها أيضاً صادرة من الله تعالى ؛ ومن هنا يمكن أن يقال أن السنة الصحيحة معجزة من حيث معناها؛ بما اشتملت عليه من صدق الأخبار وعدل الأحكام.

2.2.5 الفرق بين إعجاز القرءآن وإعجاز السنة

يجتمع القرءآن والسنة والكتب السماوية في أصولها الصحيحة في كونها جميعاً معجزة المعنى لصدورها من الله تعالى كما ذكر كثير من العلماء، إلا أن إعجاز الفصاحة والنظم أمور تفرّد بها القرءآن دون غيره، ورغم أن ألفاظ السنة الشريفة صادرة من أفصح العرب محمد (ص) وقد بلغت درجة عالية من الفصاحة وجودة النظم– إلا أنه لم يقل أحد من علماء المسلمين بإعجازها في هذا الجانب. ويشهد التاريخ ما لحق بالسنة من وضع وتدليس وتزوير، وهذا يدل دلالة واضحة على أن السنة ليست بالغة التميز في الفصاحة والنظم– كما هو شأن القرءآن الذي لا يمكن حدوث التزوير فيه أبداً لإعجازه في هذين الجانبين وتفرده فيهما.

تدريب(5)



فيم تجتمع الكتب السماوية والسنة النبوية ؟ وفي أي المجالات تفرد القرءآن الكريم دون غيره ؟

3.2.5 الفرق بين إعجاز القرءآن والكتب السماوية

إن الكتب السماوية – وان تنوعت شرائعها واختلفت مناهجها – إلا أنها في حقيقة الأمر ذات دين واحد وهو التوحيد، ولكن من الناحية العملية فهناك فروق جوهرية بين القرءآن وسائر الكتب ينبغي مراعاتها؛ حتى نتمكن من البناء المنهجي عليها. من هذه الفروق ما يأتي :

1– يجتمع القرءآن والسنة والكتب السماوية في كونها جميعها صادرة من الله.

2– لما كانت الكتب السماوية بالإضافة إلى السنة صادرة من الله – فهي معجزة من حيث صدق الأخبار وعدل الأحكام.

3– إن الكتب السماوية –وان كانت في أصلها الأول معجزة المعنى– إلا أن هذا الأصل لم يعد بين أيدينا الآن ؛ إذ حرفت هذه الكتب وبدلت. وهذا يدل على أن إعجاز المعاني أيضاً في الكتب السماوية الأخرى قد أصبح إدراكه والتسليم به الآن أمراً مستحيلاً.

3.5 عالمية الوحي

نزل الوحي في أرض العرب وعلى نبي عربي. إلا أن هذا الدين لم يكن كغيره من الأديان السماوية السابقة ؛ إذ لم يقتصر على أمة دون أمة، ولا على شعب دون شعب، وإنما كان للناس جميعاً ، قال تعالى:

﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ (الأعراف 158)

وقال أيضاً : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾ (سبأ 28)

وقال (ص) :" بعثت إلى الأحمر والأسود " [1] أي العرب وغيرهم.

ويدل على ذلك ما اشتهر من دعائه (ص) لطوائف الجبابرة من العرب وغيرهم [2].

ومن هنا يظهر الفرق بين رسالة محمد وغيره من الأنبياء في العالمية والقومية؛ وذلك كالآتي :

1-جاءت رسالة محمد(ص) للناس كافة؛ عربيهم وعجميهم، مشركهم والكتابي منهم.

2-إن الرسالات السابقة كانت ذات طابع قومي ، فشريعة موسى مثلاً لم تكن ملزمة لغير بني إسرائيل ولم يكن أحد غيرهم ملزماً بها. يقول تعالى عن العرب :﴿ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ ﴾ (يس 6)

4.5 العروبة

نزل القرءآن وجاءت السنة بلسان العرب؛ يقول الله تعالى

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا ﴾ (يوسف 2)

وتترتب على هذه الصفة أمور عديدة منها :

---

[1] رواه أحمد حديث رقم 6462.

[2] ابن حزم الأحكام في أصول الأحكام 138/3.

1-إن المعاني لا تقوم بأنفسها دون وعاء يحملها ؛ ومن المعلوم أن الوعاء العربي الذي يحمل المعاني الإلهية هو القانون الذي به تدرك معاني القرءآن والسنة.

2-ذهب العلماء إلى أن أي معنى مستنبط من القرءآن ليس فيه مراعاة لهذه اللغة الشريفة، ولا جريان على قوانينها فهو فاسد. يقول الإمام الشاطبي : "كل معنى مستنبط من القرءآن غير جار على اللسان العربي فليس من علوم القرءآن في شئ؛ لا مما يستفاد به ولا مما يستفاد منه، ومن ادعى فيه ذلك فهو في دعواه مبطل " [5].

3- ما من أحد يهمل القانون العربي الذي جرى عليه القرءآن والسنة إلا وفي طبعه هوى لتفسير القرءآن بما يلوح له دون التحقق من مراد الله.

أسئلة تقويم ذاتي

1- بماذا كانت تتميز رسالة النبي صلى الله عليه وسلم عن جميع رسالات الأنبياء؟

2- اكتب من القرءآن الكريم آية تدل على أن القرءآن نزل باللغة العربية.

5.5 الخلود

أنزل الله تعالى القرءآن وحفظه على مر الأيام وتقادم الدهور؛ قال تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ (الحجر 9)

وهذا الحفظ له سمات وخصائص أيضاً هي:

1-أحكم الله تعالى نظم القرءآن بحيث لا يمكن تغييره ولا تبديله.

2-خص الله هذه الأمة الإسلامية بالرواية والإسناد المتواتر، وجعل ميراث النبوة يحمله من كل جيل عدوله من أهل العلم ينفون عنه تحريف المحرفين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

---

[5] الشاطبي: الموافقات 223/3

3-إن رسول الله (ص) هو خاتم الرسل وليس بعده نبي ينتظر ولا كتاب يرتقب؛ وهذا الكتاب الذي أنزله الله عليه مصدق لما بين يديه من الكتب ومهيمن عليها[2]؛ فلو دخل فيه التحريف لما بقى لله على وجه الأرض دين صحيح.

6.5 الهيمنة

إن القرءآن لما كان آخر الكتب السماوية فقد صدق ما قبله الكتب؛ لكونها جميعاً من مصدر واحد وهو الله تعالى، ولكن تأخيره في الزمان وخلوده؛ مع تحريف تلك الكتب وتبديلها جعل منه كتاباً مهيمناً عليها. وتتمثل هذه الهيمنة في الآتي[3].

1-إن القرءآن شاهد بصدق تلك الكتب ومؤيداً للحقائق التي وردت فيها.
2-إن القرءآن شاهد بكذب اليهود والنصارى بما حرفوه من التوراة والإنجيل؛ إذ حرفوا ما أنزله الله فصححه القرءآن وثبته.
3-إن القرءآن حاكم على تلك الكتب؛ وذلك بإقراره ما أقره الله ونسخ ما نسخه؛ فهو كما كان حاكماً في الأخبار فهو أيضاً حاكم في الأوامر والنواهي
4-إن معجزات الأنبياء السابقة هي صدق كتبهم عند انطباقها على الواقع، بالإضافة إلى المعجزات الحسية المصاحبة؛ كانفلاق البحر وقلب العصا حية لموسى، وإبراء المرضى، وإحياء الموتى لعيسى. أما القرءآن فيختلف في ذلك اختلافاً جوهرياً، إذ هو معجز في نفسه أولاً، ثم معجز في صدق أخباره وعدل أحكامه عند انطباقها على الواقع الخارجي.

7.5 الرحمة والمصلحة

جاء الوحي إلى رسول الله (ص) رحمة للعالمين وتلطفاً بهم ؛ إذ هو يحقق مصالحهم ويدفع عنهم المفاسد ؛ قال تعالى

---

[2] مجموع فتاوى شيخ الإسلام 450/17.

[3] مجموع فتاوى شيخ الإسلام 45/17

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ (الانبياء ١٠٧)

حيث أنه يحقق السعادة لهم [2].

وتتمثل هذه الرحمة في الآتي:

1-بعث رسول الله (ص) رحمة للعالمين وذلك بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها ، ولأجل ذلك كان كل ما أمر الله به فيه مصلحة راجحة للعباد، وكل ما نهى عنه ففيه مفسدة وضرر رَاجِحَيْن لهم [3].

2-ذكر كثير من العلماء أن التكاليف في الإسلام بما فيها من أوامر ونواهٍ مبنية أصلاً على المصالح والمفاسد لا على غير ذلك [2].

3-لما اكمل الله تعالى للمسلمين الدين وأتم عليهم النعمة فإنه لم يهمل في كتابه مصلحة دنيوية ولا أخروية إلا نبَّه عليها.

4-لم تُبْنَ التكاليف في الشرائع الإلهية السابقة – كما ذكر كثير من العلماء – على جلب المصالح ودرء المفاسد كما هو في شريعة الإسلام ؛ وإنما ارتبط التحريم في بعض الأحيان بالعقوبة لا بالمصلحة والنعمة ولأجل ذلك قال تعالى عن اليهود:

﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ ﴾ (النساء ١٦٠) [1]

ويذكر ابن تيمية أنه قد حرمت على اليهود ثلاثمائة وستين نوعاً من الأطعمة الطيبة [2]، ومع تحريم الله تعالى عليهم كثيراً من الطيبات فإن بعض الخبائث قد حللها لهم.

ولما جاءت شريعة عيسى حللت لهم قليلاً مما حرم عليهم ؛ ولكن شريعة عيسى أيضاً لم تكن مبنية على المصالح [3].

---

[2] الجامع لأحكام القرءآن 350/11.

[2] فتاوى شيخ الإسلام 372/3.

[3] فتاوى شيخ الإسلام 372/3.

أما شريعة الإسلام فيقول الله عن نبيها (ص):﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾ (الاعراف كك:كم)

ويذهب ابن تيمية–مبيناً الأمور التي انبنى عليها التحليل والتحريم في الإسلام– إلى أن وصف الحلال بالطيب والحرام بالخبيث، ليس لكونها حلالاً وحراماً؛أي لم تكتسب صفة الطيب والخبث من أحكامها؛ وإنما بنيت هذه الأحكام أصلا على أوصاف تلك الأشياء في أنفسها[5]لا العكس.

وأيضاً من الفرق بين إعجاز القرءآن الكريم والكتب السماوية ما يأتي :

8.5 موافقة الحس

إن الوحي منزل من عند الله والكون مخلوق لله ، والوحي مشتمل على وصف لعالم الغيب والشهادة ، ولهذا فانه لا يمكن بحال أن يناقض الوحي عالم الشهادة والحس. يقول ابن تيمية " لا يجوز أن يكون في القرءآن ما يخالف صريح العقل والحس" [6].

إلا أن لهذا الأمر خصائص وهي:

1–رغم أن القرءآن وعالم الحس متوافقان كل التوافق إلا أن البشر – كما يذكر ابن تيمية – قد تخفى عليهم الألفاظ في القرءآن والسنة.

2–إن البشر رغم معرفتهم بالألفاظ في بعض الأحيان قد تخفى عليهم المعاني[1].

ولما كان الأمر كذلك فإن إدراك أمر التوافق بين الحس والقرءآن يحتاج إلى ضوابط؛ وهي معرفة القرءآن وأسلوبه ومعانيه من جهة ومعرفة الكون وعالم الحس وخصائصه من جهة أخرى، وسيأتي الحديث عن ذلك.

---

[5] الفتاوى 178/17.

[6] الفتاوى 207/17.

9.5 موافقة العقل

إن الوحي الإلهي موافق للعقل الصريح ولا تجوز المخالفة والتناقض بين الأمرين ؛ يقول ابن تيمية " العقل الصريح مطابق للسمع [2] الصحيح"[3].

ولما كان الأمر كذلك فقد وجب إدراك التوافق بين العقل والوحي ؛ وذلك حتى يتم استهداء العقل بالوحي. يقول ابن تيمية " لا يكفي مجرد العقل؛ بل كما أن نور العين لا يرى إلا مع ظهور نور قدامه – فكذلك

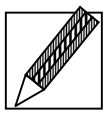
نور العقل لا يهتدي إلا إذا طلعت عليه شمس الرسالة" [4].

ولما كان العقل مطابقا للوحي وموافقا له فقد وجب التعامل مع الأمرين دون عزل لأحدهما عن الآخر؛ ويذكر شيخ الإسلام أن هنالك نوعين من الناس في عزل الوحي عن العقل كلاهما مذموم [5] ،وهما:

1- الذين جعلوا العقل هو الأصل والقرءآن والسنة تابعين له.

2- الذين رأوا أن العقل ليس بشيء يعتد به في أمر الدين فتعاملوا مع الوحي والإيمان دون إعمال للعقل.

تدريب(6)



اذكر أسماء الكتب السماوية والأنبياء الذين حملوا تلك الكتب.

---

[2] يسمى الوحي عند العلماء نقلاً وسمعاً وغيره من الأسماء.

[3] فتاوى شيخ الإسلام 527/6.

[4] مجموع فتاوى شيخ الإسلام 6/1.

[5] مجموع فتاوى شيخ الإسلام 338/3.

أسئلة تقويم ذاتي

1- على ضوء ما درسته في هذه الوحدة فسر الآية تفسيراً صحيحاً قال تعالى﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ (الحجر 9)

2- لاسترجاعك للنقاط التي تحدثت عن الفرق بين إعجاز الكتب السماوية والقرءآن الكريم ذكر منها موافقة العقل وتحت هذا العنوان تحدث ابن تيمية عن العقل فماذا قال؟

3- فيم تتمثل أهمية القرءآن على غيره من الكتب السماوية ؟

ومن الملاحظ أن الله تعالى سمى من يقرؤون الوحي دون فهم لمعانيه ومقاصده بالأميين قال:﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ (البقرة 78)

وقد فسر العلماء "**الأماني** " بأنها "التلاوة" فهولاء الناس سماهم الله تعالى بالأميين رغم أنهم يعرفون التلاوة والقراءة والكتابة.

ويذهب ابن تيمية إلى أن من لا يفهم معاني القرءآن فهو أمي وان كان يحفظ القرءآن ويعرف المكتوب [1].

ويقول ابن قيم الجوزية "نزل القرءآن ليتدبر ويعمل به فاتخذوا تلاوته عملاً، فليس بشيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تدبر القرءآن، وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر على معاني آياته؛ فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرها، وعلى طرقاتها وأسبابها وغاياتها وثمراتها ومآل أهلها، وتتيلُه في يده كنوز السعادة والعلوم النافعة وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيد بنيانه وتوطد أركانه، وتريه صورة الدنيا والآخرة " [2].

---

[1] المصدر نفسه.

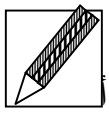
[2] ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين 1/ 45.

وخلاصة ما سبق من كلام عن موافقة الوحي للعقل نقول الآتي:

أ- إن الوحي والعقل الصريح لا يمكن أن يتعارضا ، فحقائق الوحي موافقة للعقل وإن خفيت عليه في بعض الأحيان.

ب- لا يمكن الاكتفاء بالعقل دون الوحي ولا بالوحي دون العقل ؛ إذ أن الوحي مصدر للمعرفة والعقل وسيلة هذه المعرفة ، فإذا عطلت ملكات العقل فإنه لا يمكن الاستفادة من الوحي ، وكذلك الأمر إذا عزل الوحي عن العقل واعتد بهذا العقل دونه.

تدريب(7)



الذين لا يفهمون الوحي سماهم الله سبحانه وتعالى بالأميين وذكر ذلك في كتابه الكريم ،اكتب نص الآية

10.5 نزول القرءآن منجماً

أنزل الله تعالى القرءآن كله في ليلة القدر إلي بيت العزة بالسماء الدنيا، ثم أخذ ينزل على النبي(صلى الله عليه وسلم) أجزاء متفرقة خلال ثلاث وعشرين سنة.

ذكر العلماء أن القرءآن قد نزل كله جملة واحدة في ليلة القدر إلى بيت العزة بالسماء الدنيا ، ثم أخذ ينزل على النبي (ص) أجزاء متفرقة خلال ثلاث وعشرين سنة [4].

وقد كان هذا التنجيم والتفرق لعدة أسباب منها :

أ- تثبيت فؤاد النبي (ص)

قال الله تعالى﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢ ﴾ (الفرقان اية ٣٢)

ولا شك أن رسول الله (ص) قد مر بمحن كثيرة خلال دعوته ؛ فأخذ القرءآن ينزل عليه تسلية له وتذكيراً له بأحوال الرسل السابقين وإعانة له في مواصلة دعوته والصبر على الكفار الجاحدين.

---

[4] مناع القطان : مباحث في علوم القرءآن ط/ مكتبة وهبة القاهرة 1990م ص 102.

ب-إنزاله على الواقع

كان القرءآن ينزل على النبي(ص)حلاً لكثير من المشكلات في الواقع، سواء كانت هذه المشكلات أسئلة من الكفار والمشركين، أو استفسارات من المؤمنين. وكان للنزول أسبابه التي تؤكد ارتباط القرءآن الوثيق بواقع الناس، وشئونهم ومشكلاتهم التي ساهم التنجيم في حلها حلاً مباشراً.

ج- تيسير الحفظ

إن من حكم التنجيم الحفظ والخلود وتيسير الفهم على المؤمنين ؛ فلو أن القرءآن أنزل جملة واحدة لكان فهمه وتدبره على الجملة، ولكن نزوله منجماً قد ساهم مساهمة فاعلة في جودة فهمه وإنزاله إلى الواقع.

ومن المعلوم أن القرءآن قد نزل على محمد (ص) فتلقاه تلقياً، وحفظه في قلبه ولم ينزل مكتوباً كالتوراة؛ ولهذا كان اعتماد أهل الكتاب على ما هو مكتوب أما المسلمون فقد حفظوا كتابهم حفظاً ولم يفرطوا في حرف منه؛ يقول ابن تيمية" أنزل القرءآن مفرقاً ليحفظ فلا يحتاج إلى كتاب" [2].

د- التدرج في الأحكام

إن من الحكم التي تحققت بالتنجيم التدرج في الأحكام، ومن المعلوم أن بعض العادات الاجتماعية الذميمة قد تكون متأصلة في المجتمع؛ بحيث لا يمكن اقتلاعها مرة واحدة، ولهذا جاء الوحي متلطفاً بهم متدرجاً بهم في مصاعد الرقى شيئاً فشيئاً. ومن الأمثلة على ذلك "تحريم الخمر" الذي مر بعدة مراحل يتلو بعضها بعضاً، وقد كانت عادة شرب الخمر من الأمور التي لم يكن يتصور العقل اقتلاعها مرة واحدة وهي من مفاخرهم وعاداتهم؛ إلا أن الوحي قد اقتلع هذه العادة المتأصلة من جذورها.

---

[2] فتاوى شيخ الإسلام 101/12.

أسئلة تقويم ذاتي

1- نزل القرءآن الكريم لعدة أسباب أذكرها دون أن تفصل القول فيها.
2- أكتب آية من القرءآن الكريم تدلّ على أن القرءآن نزل منجماً.
3- نزل القرءآن الكريم جملة واحدة إلي مكان في أول نزوله أذكر اسم المكان.

ومن حكم نزول القرءآن منجماً قضائه على بعض الظواهر كشرب الخمر إذ أخذ يأتي بالآيات التي تزيد من حصار هذه الظاهرة والتي قضى عليها في نهاية المطاف قضاءاً تاماً وذلك على مراحل متتالية :

✪ **المرحلة الأولى: مرحلة التلميح**

يمثل هذه المرحلة قوله تعالى:﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًا ﴾ (النحل ٦٧) وقد أنزلت هذه الآية بمكة وهي كما هو واضح تلمّح الى أنّ السكر ليس رزقاً حسناً.

وقد أخذ المسلمون يشربون الخمر رغم التلميح الذي يقرر أن السكر ليس رزقاً حسناً؛ فأحس معاذ وعمر ونفر من الصحابة بذلك التلميح؛ فقالوا: يا رسول الله أفتنا في الخمر فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال.

✪ **المرحلة الثانية: مرحلة الترجيح**

لما قال الصحابة لرسول الله أفتنا في الخمر فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال نزل قوله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا ﴾(البقرة ٢١٩)

وهذه الاية ترجح الضرر على المنفعة، فشربها من المسلمين قوم وتركها آخرون.

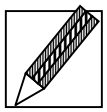
✪ المرحلة الثالثة: مرحلة التوقيت

دعا عبد الرحمن بن عوف ناساً من الصحابة فشربوا وسكروا فقرأ أحدهم:" قل يا أيها الكافرون اعبد ما تعبدون" فنزل قوله تعالى﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (النساء ككا) فصار المنع متعلقاً بأوقات الصلاة.

✪ المرحلة الرابعة: مرحلة التحريم

دعا عتبان بن مالك وسعد بن أبي وقاص نفرا من الصحابة فلما سكروا افتخروا وتناشدوا؛ فأنشد سعد شعراً فيه هجاء للأنصار فضربه أنصاري فجرحه؛ فشكى إلى رسول الله (ص) فقال عمر: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزل قوله تعالى﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَـٰمُ رِجۡسٌ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَـٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِى ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (البقرة كل-كل) فقال:عمر انتهينا يا رب [2].

تدريب(8)



بيّن المراحل التي تم فيها تحريم الخمر ؟

نشاط (2)



مرّ النبي (صلى الله عليه وسلم) بمحن كثيرة من أعدائه المشركين فأنزل الله سبحانه وتعالى إليه القرءآن وكان نزوله عليه منجماً فيه حكمة. بعد دراستك بتمعن لهذه الوحدة تعرف على الحكمة من نزوله منجماً.

[2] تفسير البيضاوي 1/503-504. وتفسير ابن كثير 1\256

أسئلة تقويم ذاتي

؟ عندما قال سيدنا عمر اللهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً – أنزل الله سبحانه وتعالى آية في ذلك، أكتب هذه الآية ؟

عزيزي الدارس، هنالك أشياء من أجلها نزل القرءآن منجماً بالإضافة إلي ما سبق وهي :

11.5 عمومية الأحكام وإلزاميتها

جاء الوحي متضمنا الشريعة السمحاء التي تلزم المؤمنين وتخرج الناس من أهوائهم المتعددة إلى مراد الله تعالى، الذي ينصلح به أمرهم في الدنيا والآخرة.

وقد تساوى الناس في أحكام الشريعة التي لم تستثن أحداً. ومن المعلوم أن الأصل مشاركة النبي (ص) لأمته في هذه الأحكام [3] ،حيث يقول: " صلوا كما رأيتموني أصلي " [4] " وخذوا عني مناسككم [5]".

وغيره من الأدلة التي لا تخرج حتى الرسول (ص) من هذه الأحكام. إلا أن بعض الأحكام قد جاءت خاصة به دون غيره من المؤمنين، " نحو قبوله هبة النساء أنفسهن له دون مهر، حيث جعل الله ذلك من خصائصه(ص) دون غيره من المؤمنين [6]، قال تعالى﴿ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ)

---

[3] مجموع فتاوى شيخ الإسلام 82/15.

[4] رواه ابن حبان حديث رقم 1658.

[5] رواه مسلم حذيث رقم 1296

[6] أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية 82/15–10/29. تفسير البيضاوي 381/4 تفسير الجلالين 558 رواه مسلم حديث رقم 1257

12.5 العمق وبعد الغور

يمتاز الوحي بالعمق الشديد وسعة الآفاق، ولهذا قال رسول الله (ص) عنه: " لا يشبع منه العلماء ولا يملُّه الأتقياء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه" [2].

وهذا العمق أمر ملحوظ وجانب ظاهر؛ إذ أن العقل كلما ازداد فيه تفكراً انفتحت له الأفاق العريضة. يقول ابن قيم الجوزية " لا تنقضي آياته، ولا تخلق دلالاته، كلما ازدادت البصائر فه تأملاً زادها هداية وتبصراً، وكلما بجست معينه فجر لها ينابيع الحكمة تفجيراً، فهو نور البصائر من عماها، وشفاء الصدور من أدوائها " [3].

ولا شك أن العقل إذا استغرق في تدبر هذا الوحي حصل له من العلوم حسب أهليته وقدرته للفهم؛ وعندئذ تتكشف العجائب على قدر القرائح والفهوم، ويبقى ما فوق ذلك؛ ليدركه من هو أقوى عقلاً وأكثر فهماً وإدراكاً.

13.5 العِظَم والقوة

وصف الله تعالى القرءآن بأنه عظيم وكريم ومجيد وغيره من الأوصاف التي تدل على العظمة، وليس ذلك فحسب بل ذكر الله تعالى أنه لو كان هنالك كتاب تسير به الجبال وتحرك، وتقطع به الأرض لكان هذا الكتاب العظيم دون سواه، قال تعالى﴿ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ (الرعد 1)

يقول ابن كثير" أي: لو كان في الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال من أماكنها أو تقطع به الأرض وتنشق أو تكلم به الموتى لكان هذا القرءآن هو المتصف بذلك دون غيره. أو بطريق الأولى أن يكون كذلك لما فيه من الإعجاز الذي لا يستطيع الإنسان والجن عن آخرهم إذا اجتمعوا أن يأتوا بمثله ولا بسورة من مثله" [1].

---

[2] سنن الترمذي تحقيق احمد محمد شاكر ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت حديث رقم 2906.

[3] مدارج السالكين 3/1.

[1] تفسير القرءآن العظيم 516/2

14.5 تفرد الأسلوب

تفرد أسلوب القرءآن وتميز عن سائر أساليب البشر حتى خرج عن طوقهم. ويتمثل هذا التفرد في دقة تعبيره عن المعاني، واستخدامه التراكيب المختلفة بصورة بلغت من الجمال درجة لا يمكن أن يبلغها سواه. وقد بلغت السنة أيضاً درجة عالية من التفرد في أسلوبها؛ ولكنها لم تكن معجزة كالقرءآن في ذلك.

ويتميز أسلوب الوحي– قرءآناً وسنة بثلاث خصائص هي :

1.14.5 الأسلوب التفصيلي

المقصود بالأسلوب التفصيلي أو الهدى التفصيلي تلك الأمور التي حددها الوحي تحديداً وتفصيلاً من ناحية عددها أو كيفيتها، أو تحديد زمانها أو مكانها، أو حددها تحديداً قطعياً لا مجال للاجتهاد فيه، وهذا الهدى التفصيلي له خصائص هي :

* أنه أكثر ما يكون في المواضع التعبدية التي يقل فيها الاجتهاد وإعمال العقل.
* أنه يكون في السنة أكثر من القرءآن؛ وما ذلك إلا لأن السنة مفسرة للقرءآن مبينة ما غمض منه ومفصلة ما أجمل فيه.

يكون الأسلوب التفصيلي بأشكالٍ متعددة منها :

1– التفصيل الكيفي: نحو تحديد كيفية العقوبات الحدية وغيرها.
2–التفصيل الكمي: نحو تحديد عدد الزوجات وعدد الصلوات وعدد الركعات فيها وغير ذلك.
3– التحديد الزماني: نحو تحديد زمن الصيام وأشهر الحج وغيرهما.
4– التحديد الوصفي: نحو تحديد مصارف الزكاة كالفقراء والمساكين وغيرهما.

2.14.5 الأسلوب الكلي

المقصود بالأسلوب الكلي أو الهدى الكلي تلك الأمور التي حددها الوحي بصورة كلية ولم يحدد تفاصيلها، ولا جعل لها أمكنة ولا أزماناً نحو: أمره بالعدل والإحسان في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ (النحل كل)

فالعدل والإحسان ونحوهما معان كلية متروك للعقل تحديدها حسب ضوابط الشرع. ومن المعلوم أن هذه المعاني مفهومة؛ ولكنها كلية واسعة، وليست كالأسلوب التفصيلي المحدد تحديداً قاطعاً؛ فالعدل هو ذلك المعنى الذي هو ضد الجور والظلم, أما الإحسان فمشتق من الحسن وهو ضد القبح [2] ،واتساع المعنى واضح لا خلاف فيه. ولهذا الأسلوب

الكلي في الوحي خصائص وهي:

- أنه يكون في القرءآن أكثر من السنة.
- أنه يكون في المعاملات بصورة أكثر من العبادات، وبذلك يكون المعنى في المعاملات وتصرف الإنسان واسعاً ليشمل كل أنواع المعاني المطلوبة؛ فإذا أمر الله بالعدل ونهى عن الظلم امتد هذا المعنى فشمل كافة أنواع العدل المأمور به وكافة أنواع الظلم المنهي عنه.

3.14.5 الأسلوب المقصدي

الأسلوب المقصدي في الوحي أعم من الأسلوبين السابقين؛ لأنه أكثر كلية منهما. والمقصود بالأسلوب المقصدي هو ذلك الأسلوب الذي يحدد الهدف والمقصد بصورة كلية ،وينقسم هذا الهدى المقصدي إلى قسمين هما:

- أن تجتمع مجموعة من نصوص الوحي لتحدد هدفاً واحداً. وقد درس علماؤنا المتقدمون هذا الموضوع، وجمعوا علل الأحكام وأسبابها فوجدوا أن الشريعة الإسلامية كلها تخدم خمسة مقاصد كلية هي :

1- حفظ الدين

---

[2] الرازي مختار الصحاح 58-176.

2- حفظ النفس

3- حفظ العقل

4- حفظ النسل

5- حفظ المال

ومن العلماء من زاد على هذه المقاصد الكلية؛ وليس هنا موضع تفصيل ذلك.

* قد تستقل بعض نصوص الوحي الكريم ببيان مقصد كلي؛ وذلك في نص واحد، ومثال ذلك قوله تعالى﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٧٩ ﴾ (البقرة لك٤)

فالآية تدعو إلى حفظ النفس؛إذ أن القاتل لو علم أنه سوف يقتل قصاصا للمقتول لامتنع عن فعل جريمته، وبذلك يتم حفظ دماء الناس في حياتهم.

15.5 شموله للعلوم

إن القرءآن كتاب إلهي شامل لكافة حاجات الإنسان الدنيوية والأخروية، ولهذا لا بد له من أن يكون كتابا جامعاً لكل شئ؛ سواء على الجملة أوالتفصيل، قال تعالى﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩ ﴾ (النحل لك)

وقال أيضاً: ﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ ﴾ (الانعام لك٤)

وعن على رضي الله عنه قال سمعت رسول الله (ص) يقول:"ستكون فتن كقطع الليل المظلم قلت يا رسول الله: وما المخرج منها ؟ قال: كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل " [4].

ويقول عبد الله بن مسعود: " قد بين لنا في هذا القرءآن كل علم وكل شئ "[5].

---

[4] سنن الترمذي حديث رقم 2906.

[5] ابن كثير تفسير القرءآن العظيم 583/2.

والحق أن الوحي عموماً –سواء كان قرءآناً أو حديثاً مفصلاً له – قد حوى كل العلوم؛ إما على الجملة والعموم أو بالتفصيل.

ويذكر الإمام القرطبي: " أن دلالة القرءآن على كل العلوم دلالة مبينة مشروحة أو مجملة" [1].

ويقول أيضاً: " صدق خبر الله بأنه ما فرط في الكتاب من شئ إلا ذكره إما تفصيلاً وإما تأصيلاً" [2].

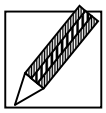
ويقول ابن كثير: " إن القرءآن قد اشتمل على كل علم نافع؛ من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وكل حلال وحرام، وما الناس إلا محتاجون إليه في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم " [3].

نشاط(3)



من المفيد لك عزيزي الدارس، أن ترجع إلي كتاب مجموع فتاوي ابن تيمية وتفسير البيضاوي وتفسير الجلالين لتوضيح ما سبق.

تدريب(9)



تقوم الشريعة الإسلامية على خمسة مقاصد كلية، ما هي تلك المقاصد ؟

مازلنا عزيزي الدارس، نتحدث عن الفرق بين إعجاز القرءآن والكتب السماوية ومن ذلك :

16.5 صلاحيته لكل زمان ومكان

جاءت رسالة محمد(ص) خاتمه للرسالات؛ قال تعالى عن النبي(ص):﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (الاحزاب ككل)

---

[1] الجامع لأحكام القرءآن 420/4.

[2] الجامع لأحكام القرءآن 428/6.

[3] ابن كثير : تفسير القرءآن العظيم 583/2.

ولما كان الأمر كذلك فقد لزم أن يكون القرءآن الذي نزل للناس كافة في كل زمان ومكان صالحاً إلى قيام الساعة؛ حيث انه لا ينسخه كتاب سماوي آخر ؛ بل هو الناسخ لكل ما سبقه.

وقد أنزلت آيات كثيرة في الصحابة رضوان الله عليهم فكانت وقائعهم سبباً في النزول. إلا أن العلماء قد اتفقوا على أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ بمعنى أن الآيات لا تقتصر على أؤلئك الذين نزلت فيهم؛ بل تتعداهم إلى كل من انطبقت فيه الصفات في كل زمان وفي أي مكان. ومن الملاحظ أن القرءآن لم يذكر من أسماء الذين نزلت فيهم الآيات إلا اثنين؛ أحدهما: صحابي والآخر مشرك، وذلك في قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴿٣٧﴾ ﴾(الاحزاب ٣٧) وقوله: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ ﴾ (المسد الاية ١)

وذلك لتعم الآيات كل من صدقت فيه الصفات في كل زمان ومكان ولا تقتصر على أناس بأعينهم ؛ إذ أنّ خطابه تعالى عام.

17.5 توحيد الآراء وجمع الشمل

يقول رسول الله (ص) عن القرءآن :" وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تتشعب معه الآراء " [2].

ولما كان الأمر كذلك، فان من شأن الوحي أن يوحد الآراء المختلفة ويقارب بينها. ورغم أن العلماء قد يختلفون في بعض القضايا – إلا أن الوحي يجمعهم في الأصول والثوابت الكبرى ؛ ولهذا لا يكون الاختلاف إلا أوجها متعددة للحقيقة. ولا شك أن الناس إذا ما انفلتوا عن هدى الوحي واعرضوا – اختلفت آراؤهم وتشعبت أفكارهم. ويبدو ذلك واضحاً في الفكر الغربي؛ حيث أن العلماء فيه– رغم انهم قد اتفقوا على العلمانية وإبعاد الدين واعتماد المادة– إلا انك تجد في العلوم الاجتماعية والإنسانية خاصة من الاختلافات وتعدد المدارس وتضارب الأفكار ما يتعجب المرء له؛ وليس ذلك الأمر بخافٍ.

[2] سنن الترمذي 172/5 حديث رقم 2906.

أسئلة تقويم ذاتي

1- إن هذا القرءآن صالحٌ لكل زمان ومكان. علِّل.

2- اكتب معنى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن القرءآن الكريم الذي يقول فيه (هو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الألسنه ولا تتشعب معه الآراء) ؟

3- قال تعالى﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾(البقرة لك كم) في ضوء ما درست، إلى أي شئ تدعو الآيه ؟

4- تحدث عن الاسلوب الكلي ؟

5- حضنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن نأخذ الأحكام منه اكتب الدليل من السنة ؟

18.5 التكامل والإنسجام

عزيزي الدارس، إن من أبرز خصائص الوحي التكامل والانسجام يقول الله تعالى:﴿ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢ ﴾(النساء ك ك)

ولكنه لما كان من عند الله فقد وجد فيه العلماء تناسقاً وانسجاماً وتكاملاً ليس له مثيل في سواه. ولما كان الأمر كذلك، فقد ثبت أن الوحي وحدة متكاملة؛ بحيث يفسر بعضه بعضاً، ويخصص مخصصه عامه، ويقيد مقيده مطلقه، وهو على اختلاف ما يتصرف فيه يجعل المختلف كالمؤتلف والمتباين كالمتقارب، الأمر الذي تجد خلافه في كلام البشر.

ولهذا التكامل أوجهاً متعددة منها :

1.18.5 التكامل في النّظْم

المقصود بالنظم هنا قوة الترابط والانسجام؛ وهو اصطلاح قديم أطلقه علماء القرءآن على هذا المعنى. ومعلوم أن النظم المحكم والرصف المتفرد والبناء المتلاحم من أخص خصائص القرءآن ؛ حيث أنه يحقق التكامل والانسجام في القرءآن ؛يقول الإمام الرازي: " أكثر لطائف القرءآن مودعة في الترتيبات والروابط " [1].ولهذا الانسجام الذي يحققه النظم أوجه وهي:

✪ انسجام الحروف

فسَّر كثير من العلماء حروف التهجي الواردة في أوائل السور بأنها للتحدي؛ كأنما يقول لهم هذه حروفكم فانظموها ورتبوها كما شئتم – ولكن لن تستطيعوا الإتيان بمثل القرءآن في جماله وروعته وانسجامه. وهذا القول قد ناصره كثير من العلماء منهم؛ الإمام الزمخشري والإمام الرازي وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم [2].

وهذا القول ترجحه أيضا كثير من الأمور منها.

1–ثبت بالاستقراء أن الله يأتي بعد هذه الحروف بذكر القرءآن وبيان عظمته والانتصار له [3].

2–إن حروف اللغة ثمانية وعشرون حرفاً لكل منها صفات وخصائص، وقد أتى القرءآن في أوائل السور بأربعة عشر حرفاً؛ أي نصفها. وتتوزع هذه الحروف الأربعة عشر لتكون نصف كل مجموعة من المجموعات التي لها خصائص معينة وكل هذا يدل على أن حروف القرءآن منسجمة مع بعضها انسجاماً معجزاً لا يستطيعه البشر.

الأقدمون عناية فائقة، وكان الأصل الذي به تدرك المعاني والإعجاز عندهم. وهذه قضية معقدة وليس هنا موضع شرحها وتفصليها، ولكن الناظر في تفسير الإمام الزمخشري " الكشاف" و"دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني يدرك أهمية هذه القضية العظيمة في الكشف عن المعاني ومعرفتها.

---

[1] الزركشي : البرهان في علوم القرءآن 26/1

[2] تفسير القرءآن العظيم 39/1

✪ **الانسجام بين الجمل والآيات:** جاءت الجمل والآيات القرءآنية منسجمة مع بعضها انسجاماً تاماً، وهذا الانسجام من شأنه أن يقود إلى المعاني الرابطة بين الجمل. يقول الإمام ابن العربي" ارتباط آي القرءآن ببعضها حتى تكون كالكلمة الواحدة مشتقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله عز وجل لنا فيه فلما لم نجد له حَملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة قمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه" [2].ويصف عبد القاهر الجر جاني هذا العلم بأنه دقيق وغامض لدقة مسلكه وصعوبة طرقه [3]. ولا شك أن هذا العلم الشريف ينكشف عنه من المعاني الكثير.

✪ **انسجام السور**

لاحظ علماؤنا الأقدمون أن هنالك تناسباً بين سور القرءآن من حيث ترتيبها ومواضعها ؛ وهذا أمر منهجي في غاية الأهمية ؛ يقول الإمام القرطبي: " إن اتساق السور كاتساق الآيات والحروف فكله عن محمد (ص) عن رب العالمين ؛ فمن أخر سورة مقدمة أو قدم أخرى مؤخرة كمن أفسد الآيات وغير الحروف والكلمات" [1].وقد اعتنى بعض العلماء المعاصرون بهذا الجانب وافردوا له فصولاً من كتبهم ومصنفاتهم.

2.18.5 التكامل في التخصيص

التخصيص يكون بأن يأتي في القرءآن موضع عام المعنى يخصصه معني آخر في موضع آخر من القرءآن أو السنة؛ والقرءآن يخصص نفسه والسنة و كذلك السنة تخصص القرءآن ونفسها أيضاً؛ وما ذلك إلا لأن الوحي كله وحدة متكاملة لا تتجزأ يقول الإمام الشوكاني" احتج العلماء بأن القرءآن كالكلمة الواحدة في أنها لا تتناقض" وكما أن القرءآن في نفسه كالكلمة الواحدة فهو أيضاً مع السنة كذلك يقول ابن حزم " إن القرءآن والحديث الصحيح متفقان لا تعارض بينهما ولا اختلاف " [2].

---

[2] الزركشي : البرهان في علوم القرءآن 26/1.

[3] عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز 231.

[1] الجامع لأحكام القرءآن 60/1.

[2] الإحكام في أصول الأحكام 96/1

وللإمام الآمدي فصلان في كتابه" الإحكام في أصول الأحكام"أحدهما:عن تخصيص عموم السنة بخصوص القرءآن، والآخر: عن تخصيص عموم القرءآن بخصوص السنة.

ومثال تخصيص القرءآن بالسنة ما يأتي : قال تعالى﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ (النحل كك)

حيث تحلل الآية عامة أصواف الأنعام وأو بارها وأشعارها، ولكن السنة خصصت ذلك بقوله(ص):"ما قطع من البهيمة وهي حية فهو ميت".

ومن الأمثله أيضاً قوله تعالى

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ (النساء ككا)

خصصته السنه باستثناء الابن الكافر أو القاتل.

ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى بعد أن ذكر عدداً من محرمات النساء:

﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ﴾ (النساء 24)

خصصته السنة بما رواه ابو هريره: لا تنكح المرأة على عمتها.

3.18.5 التكامل في النسخ

لما كان الوحي وحدة متكاملة فمن الضروري أن يتكامل في أمر النسخ كما تكامل في غيره أيضاً ومعلوم أن الحكمة من النسخ إنما ترجع إلى سياسة الأمة وتعدها بما يرقيها. ولقد كانت الأمة عند تحولها إلى الإسلام وانتقالها إلى الأيمان تعاني فترة انتقال شاق، بل كان أشق ما يكون عليهم ترك عاداتهم خصوصاً إذا كانت هذه العادات من مفاخرهم؛ ولهذا عمل الوحي على معالجة الأمور درجة درجة وشيئاً فشيئاً، وجاءت الأحكام متدرجة بحيث ينزل حكم يعمل به فتره ثم ينسخه ويعقبه حكم آخر.

ولما كان الأمر كذلك فقد وجب جمع الناسخ والمنسوخ عند محاولة إدراك معاني الوحي وأهدافه ومراميه؛ وإلا اختل إدراك الأنسان لهذه الأمور عند إهماله لبعض نصوص الوحي المتكامله.

4.18.5 التكامل في المعنى

لما كان الوحي وحدة متكاملة فقد لزم جمع الآيات والأحاديث ذات الموضوع الواحد عند محاولة دراسة ذلك الموضوع ؛ حتى يمكن الخروج بمعنى متكامل لهذا الموضوع. ومن المعلوم أن التجزئه والتفريق والاعتماد على النصوص المفردة المنعزلة عن بعضها من أخطر الأمور في الدراسة.

وهذه الوحدة لا تقتصر على آيات القرءآن وحده بل تتعداه إلى السنة أيضاً؛ إذ أن كلا الأمرين وحي كما سبق، ولهذا وجب الجمع بين القرءآن والحديث إذ أنهما يتكاملان ولا يتعارضان. يقول ابن حزم إن القرءآن والحديث الصحيح متفقان لا تعارض بينهما ولا اختلاف، ويوفق الله لفهم ذلك من شاء من عباده ويحرمه من شاء، كما يؤتي الفهم والذكاء من شاء ويؤتي البلادة وبعد الفهم من شاء... وصح بما ذكرنا بطلان قول من يضرب القرءآن بعضه ببعض أو يضرب الحديث بعضه ببعض.

نشاط (4)



عزيزي الدارس، نجد كثيراً من المفسرين للقرءآن الكريم قاموا بتدبره، واستخرجوا منه الأحكام التي تحتاج إلى تفسير وتوضيح، وكان ذلك كله بمداومة قراءة القرءآن الكريم بتمعن وتدبر وتفكر.

لكي تكون من هؤلاء الرجال الذين حباهم الله بتفسير كتابه قم بتدبر بعض الآيات واستخرج منها حكماً من الأحكام التي هي أصل في الشريعة الأسلامية.

أسئلة تقويم ذاتي



ماذا نقصد بكل من الآتي :

*التكامل في النسخ ؟

*التكامل في المعنى ؟

* التكامل في التخصيص ؟

6. مصدرية الوحي للعلوم الطبيعية والاجتماعية

إن من الأمور الواضحة عندنا أن الوحي مصدر للمعرفة الحقة، وهذا أمر لا يجادل فيه مسلم قط ؛ إلا أن الواقع العلمي والتعليمي الآن عندنا لا يعتمد الوحي عملياً مصدراً للمعرفة أصلاً، وهذه مفارقه كبرى.

ورغم ما سبق من خصائص الوحي المعروفة التي تجعله يمثل مركزاً متميزاً من مصادر المعرفة – إلا أن هنالك أموراً قد ساهمت مساهمة كبيرة في إقصاء هذا الوحي عن مضمار المعرفة. وهذه الأمور بعضها يتعلق بعوامل داخلية نحو نظم التعليم عندنا من جهة، وكوننا متلقين للعلم عن الغرب دون فحص ولا تمحيص من جهة أخرى. أما العوامل الخارجية المتعلقة بالفكر الغربي نفسه فمنها سيادة العلمانية من جهة وتصور الفكر الغربي الضيق للعلم والوجود من جهة أخرى؛ وتفصيل ذلك كالآتي:

1.6 العوامل الداخلية لإقصاء الوحي كمصدر معرفي

(أ) نظم التعليم

إن النظام التعليمي الحالي في العالم الإسلامي قد أثر تأثيراً سالباً في تعامل المسلمين مع الوحي باعتباره مصدراً من مصادر العلوم والمعرفة. ويبدو ذلك في ازدواجية هذا التعليم الذي انقسم إلى: ما هو ديني وما هو دنيوي. وقد سبق أن من خصائص الوحي في الإسلام مراعاة مصالح الناس في دنياهم وأخراهم، وارتباطه الشديد بواقعهم، واهتمامه بإصلاح هذا الواقع؛ وهذا أمر يدحض هذه الازدواجية منذ البداية. ورغم ذلك إلا أن النظام التعليمي قد قسم التعليم إلى اتجاهين ولم يحسن التعامل مع أي منهما وهذان الاتجاهان هما :

1) التعليم الديني

انفصل التعليم الديني عن التعليم الدنيوي ، وأخذ بمنهج التلقي والحفظ من جزئيات تراثنا العظيم وأقوال علمائنا الإجلاء، دون أن يكون لهذا التعليم دور في تعريف المتعلمين بمناهج تفكير هؤلاء العلماء وأسس جهودهم ؛ فأدى ذلك إلى تخريج أجيال من حفظة الجزئيات – التي

قد تنسى حال تخرجهم– دون أن يكون لهم دور واضح في التفكير والاجتهاد ومعرفة المناهج العلمية السديدة عند علمائنا الأقدمين.

2) التعليم الدنيوي

الحق أنه ليس هنالك من تعليم يسمى بالدنيوي في مقابل آخر يسمي بالديني في الفكر الإسلامي عندنا ؛ إذ أن هذا التقسيم ليس بتقسيم منطقي تعضده المسوغات والدواعي. ولكننا نتعامل مع هذا الأمر كأمر واقع قد نشأ من تقليد المناهج الغربية. ومما يزيد الأمر سوءاً أن تعاملنا مع العلم الوافد من الغرب كمقلدين قد أفضى إلى أخذ جزئياته كمسلمات علمية لا تقبل النقاش، دون النظر إلى مناهج التفكير فيها من جهة، ودون النظر إلى ما ورائها من أطر فلسفية كلية من جهة أخرى.

ب) التبعية للغرب

انتقلت العلوم من الغرب إلى العالم الإسلامي في ظل تبعية شاملة غطت كل المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية، ومع نقل الغرب لما هو مفيد نقل معه تراثه الفكري والعلمي بكل ما فيه حيث لم يستثن هو ولا نحن شيئاً؛ فكانت نتائج ذلك ما يأتي :

* أخذ العالم الإسلامي علوماً اجتماعية وإنسانية لم تنبع من ذاته، ولم تكن حلاً لمشاكله ؛وإنما كانت صدى لمشكلات الغرب الخاصة التي عمل على ترويج أنها مشكلات عالمية باعتبار انه مركز العالم ؛ ولأجل ذلك لم تنجح هذه العلوم في حل مشكلات العالم الإسلامي من جهة، بينما ناقشت قضايا تعتبر جانبيه في العالم الإسلامي من جهة أخرى.

* عملت العلوم الاجتماعية على تحقيق الأهداف الاستعمارية، وفرض المعايير والأنماط الثقافية الغربية بكافة مناهجها وقيمها، مع خنق الثقافة المحلية المناهضة.[1]

* لما لم تكن العلوم الاجتماعية والإنسانية علوماً محايدة – فقد أدى اعتمادها في العالم الإسلامي إلى الجهل بالذات، وعدم إدراك الفوارق الذاتية لكل من المجتمعات الإسلامية والغربية.

2.6 العوامل الخارجية لإقصاء الوحي كمصدر معرفي

[1] أنظر محمد محمد أمزيان : منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية 177–226.

عزيزي الدارس ،هنالك عوامل خارجية لإقصاء الوحي ينبغي التعرف عليها. سبق القول أن الفكر الغربي قد مر بمشكلات معرفية لم يتعرض الفكر الإسلامي لمثلها طوال مسيرته الطويلة عبر التاريخ، ولكن رغم ذلك تبنى العالم الإسلامي تلك العلوم الوافدة من الغرب بكل مشاكلها الخاصة التي تمثلت في الآتي:

1.2.6 سيادة العلمانية

سبق أن ذكرنا أن العلمانية وإبعاد الدين قد غلبا في الفكر الغربي على كل ما هو ديني لاهوتي، وربما كان للغرب عذره الموضوعي في ذلك؛ إلا أن العالم الإسلامي ليس له من عذر في إسقاط هذه المشكلة الخاصة على نفسه؛ وذلك لأسباب منها:

1- إن هذه المشكلة- في الأساس- إنما هي مشكلة خاصة تتعلق بالفكر الغربي في نفسه؛ وليس للفكر الإسلامي بها من شأن إطلاقاً.

2- إذا كانت النصرانية التي يدين بها الغرب قد حرفت وبدلت فناقضت معطيات الكون- فإن ما سبق من خصائص الوحي التي ذكرناها تؤكد أن الوحي الإلهي في الإسلام قد ظل محفوظاً على حاله الذي به نزل ،كما أنه لا يناقض معطيات الكون ولا يناهضها ؛ بل هو العلم الأكبر الذي يؤيد العلم الحق ويهديه إلي سواء السبيل.

أسئلة تقويم ذاتي

1- ما هي العوامل الداخلية التي ساهمت في اقصاء الوحي عن مضمار المعرفة في العالم الإسلامي ؟

2- تبنى العالم الإسلامي لموقف العلمانية من الوحى كمصدر معرفي كان خطأً ؟

- العلمانية ساعدت على إقصاء الوحي.
- نظام التعليم الحالي قد أثر تأثيراً ايجابياً.
- من خصائص الوحي في الإسلام مراعاة حقوق الناس
- السنة والقرءآن يقصد بهما الوحي.

2.2.6 التصور الغربي الضيق للعلم والوجود

سبق أن ذكرنا– أن العالم الإسلامي قد استمد في العصر الحاضر – من الغرب علومه ومعارفه بكافة أبعادها رغم ما فيها ؛ فأثر ذلك في رؤيتنا لـ"**العلم**" الذي تم تحديد مفهومه وفق أطر فكرية واجتماعية معينة لم يشهدها العالم الإسلامي، ولم يكن له من شأن بها. ولأجل ذلك تم استبعاد الوحي عن علومنا المعاصرة كما استبعده الغرب تماماً؛ إذ لم نعد– للأسف– إلا تابعين ومقلدين له في كل شيء حتى ولو دخل جحر ضب كما قال رسول الله (ص) لدخلناه.

ومعلوم – كما سبق – أن النظرة العلمانية التي استبعدت الوحي عن مضمار المعرفة قد مرت بأطوار عديدة ؛ ثم استقرت على هذه المرحلة الأخيرة التي حددت مفهوم العلم وفق ما تبلور في حلقة "فينا" في الثلاثينات من القرن العشرين. وقد تم بذلك استبعاد الغيبيات التي يحويها الوحي، وتم حصر الحقائق العلمية في جانبين لا تتعداهما إلى سواهما وذلك كالآتي:

1– إن الحقائق العلمية يجب أن تكون تجريبية يعتمد صدقها على مطابقة العالم الخارجي [1].

2– إن لم تكن الحقائق العلمية تجريبية فيجب أن تكون تحليلية يعتمد صدقها على العقل الأولي[2].

ولما تم حصر الحقائق العلمية في الحقائق التجريبية والتحليلية – فقد استبعد أنصار حلقة فينا حقائق الوحي ولم يعتبروها كاذبة فحسب ؛ بل اعتبروها بلا معنى "meanigless" [3].

وهذه النظرة الضيقة للعلم لم تمر بسلام؛ بل إنها قد أثرت في هذه العلوم نفسها وأدخلتها في أزمة منهجية كبرى اشتكى منها حتى الغربيون أنفسهم.

---

[1] الحقائق التجريبية هي الحقائق المادية التي أثبتتها التجربة مثل قولنا " النحاس تمدد بالحرارة."

[2] الحقائق التحليلية هي التي يدركها العقل مثل قولنا الجزء اقل من الكل.

[3] زكريا بشير : نحو منهجية إسلامية للعلوم ص 14 "أوراق مؤتمر ندوة إسلام المعرفة".

نشاط (5)



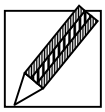
تحدث عن العلمانية من منظور إسلامي ثم بين الفرق بين الوضعية و المعيارية وفي هذا انظر منهج البحث الاجتماعي كتاب محمد محمد امزيان.

6.3 هل العلوم المعاصرة بحاجة إلي الوحي ؟

ذكر علماؤنا الأقدمون– كما سبق – أن الوحي يشتمل على كافة العلوم إما تفصيلاً أو تأصيلاً؛ أي: إما بتفاصيلها أو على الإجمال، ولا زال الوحي يؤكد أن عجائبه لا تنقضي؛ وأن العلماء كلما أمعنوا النظر فيه خرجوا بحقائق علمية في غاية الدقة.

ولما كان الأمركذلك فقد فقدت المعرفة باستبعاد الوحي رافداً من أهم روافدها فدخلت في أزمة خانقة. ولم تقتصر هذه الأزمة على العلوم الاجتماعية والإنسانية التي باتت هذه الأزمة فيها واضحة ظاهرة؛ وإنما تعدتها إلى العلوم الطبيعية التي يتوهم الكثيرون أنها بمعزل عن هذه الأزمة من جهة, وأن علاقتها بالدين والوحي ليست بالمباشرة كعلاقة العلوم الاجتماعية والإنسانية من جهة أخرى.

تدريب(10)



أجب بلا أو نعم

1- هل العلوم المعاصرة بحاجة إلى وحي ؟
2- السنة المشرفة مفسرة ومبينة لآي قرءآن ؟
3- نزل القرءآن منجماً لتيسير حفظه.
4- النظرية المعرفية الغربية والإسلامية لا تتناقضان.
5- الكون في النظرية الإسلامية مصدراً للوحي.

1.6.3 حاجة العلوم الطبيعية للوحي

يتوهم الكثيرون– كما سبق – أن العلوم الطبيعية كالطب والهندسة والزراعة والكيمياء والفيزياء وغيرها من العلوم الطبيعية لا حاجة لها بالوحي وذلك للآتي:

1– الارتباط الشديد بين هذه العلوم وبين الواقع المادي، إذ أن طبيعة معطيات تلك العلوم مادية يعتمد إدراكها على التجريب والقياس الذي يمكن به دراسة الواقع المادي بصورة ممتازة. وهذا أمر لا خلاف عليه.

2– تشهد هذه العلوم يوماً بعد يوم تطوراً هائلاً وتقدماً ممتازاً ؛ الأمر الذي يدل دلالة واضحة على أنها لا تعاني أزمة منهجية ولا معرفية. ولكن هذه الأمور مع كونها صحيحة في النظر الجزئي – إلا أنها قاصرة قصوراً شديداً عن التصور الكلي الصحيح ؛ والحق أن من يقول ذلك إنما يتوهم أن هذه العلوم حرفاً يدوية ومهناً لا تختلف عن غيرها من المهن العمالية التي لا تقتضي عند العامل تصوراً كلياً للأشياء. ويقول البروفسير محجوب عبيد عالم الفيزياء الفضائية الشهير" هذا التصور قد يكون مقبولاً حين كان العلم في بداياته يتدرج نحو صقل طرق القياس وتطوير سبل الاستنباط والاستدلال والبرهان، حين كان هذا العلم أقرب إلى حنكة الحرفة منه إلى عمق الفكر والمبدأ. ولكن التطورات المعاصرة في الفيزياء النظرية وعلم الكون والهندسة الوراثية قد تجاوزت ذلك الموقف الشكلي ،وقربت تطوراتها قضايا هذه العلوم من موضوعات البداية والنهاية، وأطلت به على مشارف قضايا كبيرة في العقيدة والفلسفة. وهذه التطورات قد أحرجت الموقف الشكلي البسيط الذي يفصل بين الحقائق العلمية والمذاهب الفكرية ،وفضحت ضعفه أمام الأبواب المفتوحة نحو إشباع طموح الإنسان في الوقوف على أسرار الخليقة وطبيعة الأشياء [1].

ولما كان الأمر على الوجه الذي ذكرناه فقد اتضح أن بالعلوم الطبيعية حاجة ماسة إلى الوحي ومعطياته، وإن كانت حاجة العلوم الاجتماعية والإنسانية أقوى وأكبر كما سيأتي. وتتمثل حاجة العلوم الطبيعية للوحي في أمور منها:

---

[1] محجوب عبيد:أسس التأصيل الإسلامي في مجال العلوم الطبيعية ص318"أوراق ندوة إسلام المعرفة".

3- عندما يتحول المرء من الطبيعة المادية في هذه العلوم إلى الأطر الكلية الفلسفية يجد أن هذه العلوم تدخل بصورة مباشرة في أسئلة لا يمكن إيجاد حل لها إلا في وحي السماء.

4- يؤكد علماء الطبيعيات أنه ليس هنالك من برهان تجريبي قط على صدق أي نظرية علمية تتعلق بالعلوم الطبيعية. فهذه النظريات وإن كانت مبنية على الملاحظات والحقائق التجريبية - إلا أن تشكيل النظريات يقتضي مفاهيم مترابطة ونسقاً متماسكاً ؛ وهنا يدخل التصور الذهني الافتراضي الذي لا يمكن التحقق منه تجريبياً [1].

5- رغم أن الفكر الغربي قد استبعد المعرفة الغيبية التي مصدرها الوحي وحدد مفهوم العلم تحديداً صارماً- إلا أن علماء الطبيعيات في تشكيل نظرياتهم قد وقعوا في مفارقات منهجية؛ حين لم يتحرجوا من اللجوء إلى غيبيات متخيلة تساعد على فهم المشاهد والمحسوس.

مثل البروفسير محجوب عبيد لاستعانة علماء الطبيعيات بغيبيات متخيلة بفرضية وجود جسيم النيوترون التي لوحظ فيها أن قدراً معيناً من الطاقة يختفي في بعض التفاعلات النووية دون سبب معلوم وللاحتفاظ بمبدأ "حفظ الطاقة" قدمت فرضية بوجود شيء غيبي ما يظهر عند حدوث هذه التفاعلات يختفي حاملاً معه الطاقة المفقودة وبتكرار التجارب حددت له خصائص عديدة توضح متى يتوقع ظهوره ومتى لا يتوقع وأصبحت هذه الفرضية متسقة مع كل التجارب وتوخذ في الاعتبار على أنها حقيقة لمدة عشرين عاماً قبل اكتشاف النيوترون تجريبياً وقد مثل البروفسير بأمور غيبية كثيرة يقتضيها التوفيق بين التجربة والمبدأ النظري " أسس التأصيل الإسلامي ص 328".

[1] المصدر السابق.

ولما كان الأمر كما سبق فليس من المعقول إطلاقاً أن ترفض الحقائق الغيبية التي جاء بها الوحي وكانت من الصدق بحيث لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها؛ ثم تقبل خيالات العلماء وتصوراتهم التي لا يمكن التحقق من صدقها تجريبياً.

نشاط (6)



1- نقصد بالحقائق التجريبية : الحقائق المادية التي أثبتتها التجربة مثل قولنا " النحاس تمدد بالحرارة "

2- ونقصد أيضاً بالحقائق التحليلية : هي التي يدركها العقل مثل قولنا الجزء أقل من الكل.

أسئلة تقويم ذاتي



1- على ماذا تبنى النظريات والحقائق في العلوم الطبيعية؟

2- كيف ترد على من يزعمون عدم حاجة العلوم الطبيعية إلي الوحي كمصدر ؟

2.6.3 حاجة العلوم الاجتماعية والإنسانية للوحي

إذا كانت العلوم الطبيعية- رغم طبيعتها المادية ورغم دقتها وصحة جزئياتها- قد احتيج فيها إلى معطيات الوحي؛ فإن العلوم الاجتماعية والإنسانية لهي أكثر حاجة للوحي من تلك العلوم الطبيعية. وتتمثل هذه الحاجة في أمور كثيرة منها:

- إن العلوم الإنسانية والاجتماعية ذات طبيعة تختلف كل الاختلاف عن تلك العلوم الطبيعية؛ ولأجل ذلك يكثر فيها من التنظير ما لا يكثر في العلوم الطبيعية، الأمر الذي يجعل الإنسان أكثر تدخلاً فيها وأكثر تثبيتاً للأمور الذاتية.

✪ إن الصفة العلمية– حسب المفهوم الغربي– في العلوم الاجتماعية والإنسانية مهتزة إلى حد كبير؛ إذ أن موادها غير قابلة للتجريب والتحقق العلمي، الأمر الذي يتيح تدخل الأهواء والخيالات البشرية في تفسير الظواهر تدخلاً مباشراً.

✪ إن العلوم الاجتماعية والإنسانية لما كانت ذات طبيعة قيمية فقد احتلت المكانة السامية التي كان يحتلها وحي السماء في إرشاد الناس وتوجيههم لما يصلحهم دون الاستعانة بمعطيات هذا الوحي، الأمر الذي جعلها تتخبط تخبطاً شديداً دون أن تصل إلى شيء مقبول.

✪ إذا كان الوحي يساهم مساهمة فاعلة في تشكيل الرؤى الكلية للعلوم الطبيعية، وإذا افترضنا أنه لا يمكن دخوله في جزئيات هذه العلوم ذات الطبيعة المادية؛ حيث يمكن إدراك هذه الجزئيات من الواقع المادي المحسوس مباشرة في أكثر الأحيان– فإن هذا الافتراض في العلوم الاجتماعية والإنسانية غير مقبول ابتداء ؛ إذ أن هذه العلوم تحتاج إلى الوحي ليس في تشكيل الرؤى الكلية ولا في بلورة النظريات فحسب، بل يتعدى الأمر ذلك إلى جزئيات هذه العلوم وتفاصيلها الدقيقة أيضاً؛ إذ أن طبيعة بنائها يقتضي ذلك.

✪ لمّا لم تجد العلوم الاجتماعية والإنسانية بعد استبعاد الوحي من سلطة مرجعية ترتكز عليها، فقد اتخذت هذه العلوم – من العلوم الطبيعية سلطة مرجعية تحاول تقليدها في كل شيء؛ رغم الاختلاف الكبير بين الطبائع في كلا النوعين من العلوم، ولأجل ذلك ظهرت المفارقة الكبرى في نظريات هذه العلوم ، الأمر الذي يستوجب إعادة الوحي إلى مضمار المعرفة حتى يخرج هذه العلوم من مآزقها المعرفية.

➢ **تنبيه**

قلدت العلوم الاجتماعية والإنسانية العلوم الطبيعية في كل شيء فشمل ذلك المنهج والفلسفة؛ بل والنظريات الجزئية أيضاً وقد دعا أوجست كونت إلى استخدام مناهج العلوم الطبيعية فعلى غرار نظرية دارون الطبيعية في النشؤ والارتقاء ظهرت نظرية الأصول الثلاثة التي زعم صاحبها أنّ المجتمعات تتطور من الدين والخرافة مروراً بالميتافيزيقا إلى الوضعية. وعلى غرار قانون الانتخاب الطبيعي بلور هر برت سبنسر نظرية اجتماعية يبرر بها الاستعمار وسحق الكادحين والضعفاء ما دام البقاء للأصلح. وعلى غرار قانون النسبية في الفيزياء بلور أميل دوركايم نظرية اجتماعية في نسبية الأخلاق يبرر بها الأخلاق الدميمة للمجتمعات " أنظر تجاني مصطفى : لماذا الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع ص 221"أوراق ندوة".

✪ لما احتلت هذه العلوم الاجتماعية والإنسانية المكانة العالية التي كان يحتلها الوحي في توجيه الناس وإرشادهم وأصبحت بديلاً له رغم عدم اعترافها بمعطياته– كانت ثمرة ذلك أنها لم تبن نفسها بناء صحيحاً، ولا اتخذت سلطة مرجعية مناسبة ولا قدمت حلولاً معقولة للمشكلات خاصة مشكلات العالم الإسلامي المعاصر.

نشاط (7)



إن العلوم الإنسانية والاجتماعية يكثر فيها التنظير خلاف العلوم الطبيعية ناقش هذه المسألة مع زملائك.

الخلاصـة

عزيزي الدارس، إن الذي خلصنا إليه في هذه الوحدة هو :

– أن الوحي يشمل القرءآن والسنة.

– إلهية المصدر من أهم خصائص الوحي.

– من خصائص الوحي الإعجاز ويتعلق إعجاز القرءآن باللفظ والمعنى والنظم بينما يتعلق إعجاز السنة بالمعنى فقط.

– الكتب السماوية تشارك القرءآن في كونها جميعاً صادرة من الله ومعجزة في أخبارها عن الغيوب.

– الوحي الإلهي موافق لأحكام العقل الصريح.

– جاء الوحي بأسلوب متفرد لا يشابهه فيه أسلوب آخر ، جاء الوحي صالحاً لكل الأزمنة والأمكنة.

– إن نظام التعليم عندنا اليوم باعتبار أننا متلقين للعلم من الغرب قد ساهم مساهمة فاعلة في إبعاد الوحي كمصدر للمعرفة ؟.

– الوحي مصدر للمعرفة عند المسلمين إلا أنهم لا يتعاملون مع هذه الحقيقة علمياً وواقعياً.

– إن نظام التعليم الديني عندنا اليوم يعتمد على التلقي وحفظ الجزئيات دون التعرف على أسس جهود العلماء السابقين ومناهجهم.

– إن نظام التعليم الدنيوي قد نشأ من تقليد مناهج الغرب فأصبح المتعلمون يتعاملون مع معطيات العلوم الوافدة كمسلَّمات لا تقبل النقاش دون معرفة بخلفيات هذه المعطيات.

– أخذ العالم الإسلامي من الغرب علوماً اجتماعية وإنسانية لم تتبع من ذاته ولم تنشأ حلاً لمشكلاته الخاصة.

– إذا كان الغرب قد استبعد الدين لأنه خالف معطيات العلم وعالم الحس لكون الأصل الصحيح للمسيحية قد حرف، فإن الوحي في الإسلام قد ظل محفوظاً كما نزل من جهة، ثم أنه لا يناقض عالم الحس ولا يعارضه من جهة أخرى، بل إن الأمرين في الإسلام متوافقان كل التوافق.

– فقد العلم باستبعاده للوحي أهم مصدرٍ من مصادره ولهذا دخلت العلوم الخاصة الاجتماعية والإنسانية منها في أزمة خانقة.

– تحتاج العلوم الطبيعية إلي الوحي في بلورة الرؤى الكلية فضلاً عن المرامي والأهداف وصياغة الفروض.

– إذا كانت العلوم الطبيعية تحتاج إلي الوحي فإن العلوم الإنسانية والاجتماعية أكثر حاجة للعلوم الإنسانية والاجتماعية.إن طبيعتها تختلف عن طبيعة العلوم المادية ، إذ أن طبيعة العلوم الإنسانية والاجتماعية قيمية ولهذا يكثر فيها التنظير.

لمحة مسبقة عن الوحدة التالية

عزيزي الدارس، بعد الحديث عن الوحي كمصدر أصلي لمصادر المعرفة الآن سيأتي الحديث في الوحدة التالية عن مصدر آخر من مصادر المعرفة وهو الكون لأن الكون ماثلاً بين يدي الناس تناله بالمعرفة حواسهم وسوف يأتي الحديث عن التوازن الاجتماعي والإنساني والتوازن الطبيعي وكل ما يتعلق بالكون من حيث خصائصه واعتباره مصدراً للعلوم الطبيعية والاجتماعية.

إجابات التدريبات

التدريب(1)

1-وحي بمعنى الإشارة.

2- والإلهام الغريزي للحيوان والإلهام الفطري للبشر.

3- وسوسة الشيطان.

التدريب(2)

1- القرءآن والسنة.

2- القرءآن هو اللفظ العربي المنزل للتدبر والتذكر الذي نقل بالتواتر.

التدريب (3)

1- يراد بها قول النبي صلى الله عليه وسلم.

2- عند أهل الحديث ويراد بها الواجب وغير الواجب.

3- عند الفقهاء ويراد بها ما ليس بواجب.

4- عند علماء العقيدة ما يقابل البدعة.

ب- القرءآن لا يمكن أن يروى بالمعنى خلاف السنة.

ج- القرءآن لفظه ومعناه من الله سبحانه وتعالى.

د- القرءآن الكريم جاء معجزاً للعرب في البلاغة.

التدريب(4)

1- قال القرطبي : وذلك لإعجازه ولوصفه معانيه وتأليفه ويقول ابن عطية: وجه التحدي في القرءآن الكريم إنما هو بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه.

التدريب (5)

تجتمع الكتب السماوية في أصولها الصحيحة مع القرءآن والسنةفي أنها صادرة عن الله سبحانه وتعالى.

التدريب(6)

الفرقان أنزل على " سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم "

الزبور أنزل على " داوود عليه السلام "

التوراة أنزلت على " موسى عليه السلام "

الانجيل أنزل على " عيسى عليه السلام "

التدريب(7)

قال تعالى : ﴿ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴿٧٨﴾ ﴾(البقرةكلك)

التدريب (8)

تم تحريم الخمر على المراحل الآتية :

المرحلة الأولى :مرحلة التلميح يمثلها قوله تعالى : ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًا ﴾ (النحل لكك)

المرحلة الثانية :مرحلة الترجيح قال تعالى﴿ ۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا ﴾(البقرة لكك)

المرحلة الثالثة :مرحلة التوقيت قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ﴾ (النساءككك)

المرحلة الرابعة :مرحلة التحريم مرحلة التحريم حيث قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ ﴾(المائدة كلا)

التدريب (9)

1- حفظ الدين.
2- حفظ النفس.
3- حفظ العقل.
4- حفظ النسل.

5- حفظ المال.

التدريب (10)

1- نعم

2- نعم

3- نعم

4- لا

5- نعم

المصادر والمراجع

1- القرءآن الكريم

2- **سنن الترمذي** (تحقيق) أحمد محمد شاكر،دار إحياء التراث العربي، بيروت.

3- ابن القيم :

- **بدائع الفوائد** ، تحقيق هشام عطا ، مكة(1996).

- **مدارج السالكين** ، تحقيق الفقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت(1973).

4- ابن تيمية، **مجموع الفتاوي**، تحقيق عبد الرحمن بن محمد، مكة(1404هـ).

5- ابن حزم **الأحكام في أصول الأحكام**، دار الحديث، القاهرة(1404هـ).

6- **ابن كثير البداية والنهاية** ، دار الفكر(1981).

7- **البيضاوي تفسير** ، دار الفكر ، بيروت(1996).

8- **الآمدي الأحكام في أصول الأحكام** ، تحقيق سيد الجميلي، دار الكتاب العربي ، بيروت(1404هـ).

9- الرازي **مختار الصحاح** ، تحقيق محمود خاطر ، مكتبة ابنان(1995).

10- الراغب الأصفهاني **الذريعة إلي مكارم الشريعة** ، دار الصحوة ، القاهرة(1985).

11- الشاطبي ( ) **الموافقات**.

12- الشوكاني ( )**إرشاد الفحول إلي علم الأصول**.

13- الصنعاني ( ) **سبل السلام**.

14- القرطبي ( ) **الجامع لأحكام القرءآن**.

15- عبد القاهر الجرجاني **دلائل الإعجاز**، تحقيق الأبياري ، دار الكتاب العربي، القاهرة(1992).

16- محجوب عبيد طه ( ) أسس التأصيل الإسلامي في مجال العلوم الطبيعية ، ندوة إسلام المعرفة ، مدني.

17- د. محمد محمد امزيان **منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية** ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي(1991).

18- مناع القطان مباحث في علوم القرءآن ، مكتبة وهبة ، القاهرة(1990).


الوحدة الرابعة
الكون مصدراً للمعرفة

محتويات الوحدة

الموضوع	الصفحة
المقدمة	**141**
تمهيد	141
أهداف الوحدة	**141**
1. مفهوم الكون	**142**
1.1 المعنى اللغوي	143
2.1 المعنى الاصطلاحي	143
2. خصائص الكون	**145**
1.2 مخلوقية الكون	145
2.2 التدبير الكوني	146
3.2 المصلحة والرحمة	148
4.2 التوازن	150
5.2 الغائية وعدم العبث	152
6.2 محدودية الأجل	153
7.2 محدودية علم الإنسان بالكون	154
8.2 ارتباط العلم الكوني بالعقل	156
9.2 ارتباط العلم الكوني بالغيبيات	157
10.2 توافق الكون والوحي	175
11.2 تفاوت الخلق	158
12.2 استخلاف الإنسان في الكون	159

13.2 إمكانية إدراك عناصر الكون	159
3. مصدرية الكون للعلوم	**161**
1.3 مصدرية الكون للعلوم الطبيعية	162
2.3 مصدرية الكون للعلوم الاجتماعية	163
الخلاصة	**146**
إجابات التدريبات	**166**
المصادروالمراجع	**168**

المقدمة

تمهيد

مرحباً بك عزيزي الدارس؛ إلي الوحدة الرابعة من مقرر " مصادر المعرفة الإسلامية " والتي بعنوان " الكون مصدراً للمعرفة " سنعرض فيها مفهوم الكون اللغوي والاصطلاحي،إذ كثيراً ما يختلط على الناس مفهوم الكون وما يحويه. وهذه مسألة مهمة لابد من الحديث عنها ما دام الكون مصدراً للمعرفة.

كما تتعرض الوحدة إلي خصائص الكون والتي تتمثل في مجموعة من الخصائص منها مخلوقية الكون والتدبير الكوني والمصلحة والتوازن ومحدودية علم الإنسان وغيرها.

كما تعرض الوحدة الكون كمصدر للعلوم الطبيعية والاجتماعية وتشتمل الوحدة على مجموعة من التدريبات والأنشطة وأسئلة التقويم الذاتي.

مرحباً بك مرة أخرى عزيزي الدارس؛ نتمنى أن تستمتع بقراءة هذه الوحدة وأن تشاركنا في نقدها وتقويمها.

أهداف الوحدة

عزيزي الدارس، بعد دراسة هذه الوحدة ينبغي أن تكون قادراً على أن :

- **تتعرف** على المفهوم : اللُّغوي والاصطلاحي للكون.
- **تتعرف** على الخصائص العديدة للكون في إطار.
- **تستطيع** أن ترد العلوم الاجتماعية والطبيعية لمصدرها الكوني.
- **تدرك** مدى ارتباط العلم الكوني بالعقل وبالغيبيات.

1. مفهوم الكون

عزيزي الدارس؛ خلق الله الكون دلالة على بديع صنعه وعظيم قدرته، ثم جعل للإنسان من الحواس المدركة ما يمكنه من معرفة هذا الكون المحسوس. ولهذا قال تعالى﴿ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۖ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٢٣ (الملك ﴾

أي جعل لكم من الوسائل ما تدركون به المسموعات والمبصرات والمعقولات.

ولما كان الأمر كذلك فقد كان الكون مصدراً للمعرفة ماثلاً بين يدي الناس تناله بالمعرفة حواسهم التي لا يتفاوتون فيها ولا يتفاضلون ، ولهذا لم ينازع في مصدريته للمعرفة مسلم ولا كافر ولا علماني ؛ اللهم إلا بعض نزعات طفيفة في الفكر الغربي دحضتها النزعة المادية التجريبية كما سبق. وقد دعا القرءآن العظيم للسير في الأرض والنظر في الكون والتفكر في المخلوقات سواء كانت هذه المخلوقات في الأرض أو في السماء قال تعالى﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ (يونس ﴾

ولما كان الأمر كذلك فقد كانت مصادر المعرفة في الإسلام منحصرة في أمرين هما :

1-مصدر تشارك في الاعتراف به المعرفة العلمانية ؛ وهو الكون الذي لا نزاع في مصدريته.

2- مصدر تفرد به الإسلام عن المعرفة العلمانية وهو وحي السماء الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ولأجل ذلك ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن مصادر العلم أمران هما[1] :

الحس: "**وهو المعنى الذي يشار به إلى إدراك الكون المحسوس** ".

الخبر: " **ويقصد به وحي السماء**".

وقبل التوغل في خصائص هذا الكون ينبغي النظر في مفهومه عند العلماء **أولاً:** وهو على النحو التالي:

---

[1] مجموع فتاوى ابن تيمية 238/9.

1.1 المعنى اللغوي للكون

الكون مشتق من الفعل " كان" في حالة كونه فعلاً تاماً[1] ، تقول أعرفه منذ كان، أيْ منذ خلق[2] وبهذا المعنى يكون المقصود بالكون هو ما خلق الله تعالى وأحدث [3].

2.1 المعنى الاصطلاحي للكون

مفهوم الكون عند علماء التأصيل باعتباره مصدراً للمعرفة يطلق على عالم الحس الذي يمكن إدراكه بالحواس البشرية الخمس، وقد أطلق على الكون أسماء متعددة منها :

أ- عالم الحس :

ويراد به الكون الذي يمكن إدراكه بالحواس- كما سبق- ويطلق هذا المعنى في مقابل المعنوي والغيبي.

ب- عالم التجربة "المختبر" أو العالم التجريبي.

العالم التجريبي منسوب إلى التجربة التي هي ملاحظة العلماء الحسية للظواهر الطبيعية في شروط معينة ، ويسمى المنهج الذي يدرك به هذا العالم بالمنهج التجريبي الذي يراد به الطريقة المشتملة على الملاحظة والتصنيف والتجريب والتحقيق.

جـ- عالم الشهادة

يطلق على الكون عالم الشهادة وذلك لأن البصر أقوى الحواس ؛ ولهذا غلب عليها في هذه التسمية ، وعالم الشهادة مقابل لعالم الغيب وهي تسمية قرءآنية كما هو معروف. يقول تعالى الله عن نفسه: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ (الانعام6ك)

وذلك في عشرة مواضع من القرءآن العظيم[1].

---

[1] الفعل (كان) كثيراً ما يستخدم في اللغة ناقصاً ويحتاج في هذه الحالة إلى خبر، تقول: كان محمد قائماً وذلك بخلاف الفعل التام. الذي لا يحتاج إلى ذلك تقول أعرفه منذ كان أي منذ خلق.

[2] الرازي : مختار الصحاح ص243.

[3] نفس المصدر.

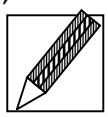
د- كتاب الله المنظور

ويطلق هذا الاسم على الكون في مقابل كتاب الله المسطور الذي هو الوحي يقول تعالى﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ ﴾ (الطور ١-٥)

فيكون الأمر في ذلك على قسمين كما هو واضح هما:

- كتاب الله المنظور "الكون".
- كتاب الله المسطور "الوحي".

تدريب(1)



1- على ماذا يدل خلق الكون؟

2- قال تعالى :﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾(يونس ١٠١) ما الذي وتوجه إليه هذه الآية ؟

3- ذهب الشيخ ابن تيمية إلي أن مصادر المعرفة أمران ما هما ؟

أسئلة تقويم ذاتي



1- وضح معنى الكون في اللُّغة ؟

2- وضح معنى الكون في الاصطلاح ؟

3- ما المقصود بعالم الشهادة ؟

4- ما المقصود بكتاب الله المنظور؟

---

(1) سورة الأنعام الآية 73، سورة التوبة أية 94 ، سورة التوبة الآية 105، سورة الرعد الآية 9، سورة المؤمنون الآية 92، سورة السجدة الآية 6، سورة الزمر الآية 46، سورة الحشر الآية 22، سورة الجمعة الآية 8، سورة التغابن الآية 18.

2. خصائص الكون

إن للكون الذي هو مصدر أصيل للمعرفة سواء في النظرة الإسلامية أو العلمانية خصائص؛ وهذه الخصائص منها ما تتفق فيه النظرتان؛ ومنها ما تنفرد به النظرة الإسلامية ، ولأجل ذلك يجب بيان الرؤية الإسلامية في هذه الخصائص مع مقارنة النظرة العلمانية بها ، وتفصيل ذلك كالأتي:

1.2 مخلوقية الكون

من الأمور الثابتة عند الناس جميعهم مؤمنهم وكافرهم أن الله تعالى هو خالق الكون بكل ما فيه، وليس هنالك من شيء لا يتعلق به خلقه ؛ لأن كمال قدرته وعزته يبطل ذلك[2].

ولما كان خلق الله تعالى للكون أمراً ثابتاً والناس عليه مفطورون– فقد أقر بذلك الكفار أيضاً. يقول الله تعالى عنهم﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾(الزخرف لمك)

وقال أيضاً عنهم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ (لقمان لمك)

ولا شك أن السبب في إقرار الناس جميعهم بذلك هو الفطرة التي تدفع الناس دفعاً إلى الإقرار بأن الله هوخالقهم[1].ويذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم الجوزية إلى أن الفطرة أمر آخر غير الإسلام ، يقول ابن تيمية " إنهم كانوا يعلمون جميع ذلك لله ولم يكونوا بذلك مسلمين" [1].

ورغم أن خَلْقَ الله للكون أمر ثابت في العقيدة الإسلامية ورغم إثبات القرءآن لكون البشر جميعهم مُقِرِّين– في أنفسهم– بخلق الله للكون سواء كانوا مؤمنين أو كفاراً. إلا أن الغربيين قد إنقسموا إلى قسمين كما يلي:

---

[2] ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد 201/1.

[1] ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة 949/2.

[2] ابن تيمية : العقيدة الاصفهانية ص 18.

أ- قسم عاند الفطرة وقال بعدم وجود الله أصلاً، وأسند كل أفعال الله للطبيعة وهم أصحاب ما كان يسمى بالمعسكر الشرقي(الشيوعيون).

ب- قسم أقرَّ بخلق الله للكون ولكنه أنكر دوره في تدبيره وتسييره وهو القسم الثاني من الفكر الغربي كما سيأتي.

2.2 التدبير الكوني

يقر المسلمون حسب عقيدتهم السامية أن الله مدبر للكون ومتصرف فيه وفقاً لحكمته ؛ يقول الله تعالى﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾ (يونس٣)

ويقول أيضاً: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ (يونس 31)

وقال أيضاً ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَـٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾(الرعد الاية٢)

ولما كان الله تعالى كما جاء في القرءآن هو المدبر لشؤون الكون فقد كان الإيمان بالقضاء والقدر ركناً أساسياً في عقيدة المؤمن؛ إذ أن الله تعالى متصرف في هذا الكون تصرفاً ثابتاً لا ينازع فيه مؤمن.

نشاط(1)



عزيزي الدارس، لزيادة معلوماتك عليك بالرجوع إلي كتاب " أحكام أهل الذمة " لابن القيم الجوزية وكتاب " العقيدة الأصفهانية " ابن تيمية.

عزيزي الدارس؛ ورغم كل ما سبق إلا أن الفكر الغربي قد انقسم في هذا الأمر إلى تيارين هما:

1-التيار المعاند الذي أنكر وجود الله أصلاً. وإذا كان هذا التيار قد أنكر الوجود فمن الطبيعي أن ينكر التدبير أيضاً، وقد ذهب أنصار هذا التيار إيغالاً في العناد إلى أن الكون قد تشكل بالصدفة لاعن طريق القصد والإرادة ؛ وزعموا أن عناصر الذرة قد تلاءمت وتناسبت بمرور السنين، وقد وجدت الحياة في شكل خلية أولية تنامت على مر السنين، وليس وراء ذلك من إرادة هادفة، وإنما هي صدف وموافقات[1]. ومنهم من ذهب إلى أن التنوعات الحادثة إنما حصلت بطريق الضرورة في البيئات المختلفة ؛ وليس وراء ذلك تدبير أو إرادة هادفة[2].

2-التيار المعتدل: رغم أن التيار المعتدل في الفكر الغربي قد أقر بوجود الخالق- إلا أنه أنكر أن يكون له دور في تدبير الكون وتصريفه، إذ أن الله تعالى عندهم قد وضع في الأشياء قوانين ذاتية طبيعية تسير بها أنفسها دون حاجة إلى تدبيره؛ وتصرفه المباشر؛ إذ أن الله تعالى عندهم ليس إلا كالمهندس الذي صنع الساعة ابتداء، ثم تركها تدور وفق قانون معين وضع أساسه هو، وليس له بعد ذلك من دور في تسيير هذه الساعة أو مواصلتها لعملها الدائب، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

تدريب(2)

---

(1) أبو بكر الجزائري : عقبة : المسلم ط دار الجيل ص31.

(2) يقصد هذا التيار "بالضرورة" أن حاجة الحيوان إلى الشكل والوظائف في بيئة معينة وهي التي خلقت الشكل المعين فالزرافة مثلاً لم تستطع نيل الفروع البعيدة فطالت رقبتها والسمكة قد احتاجت إلى السباحة فاوجدت الحاجة لديها الزعانف وأغفلوا ما وراء ذلك من تدبير إلهي عندهم " عقيدة المؤمن" 32.

نجد أن الغربيين إنقسموا إلي قسمين في خلق الله للكون منهم أسند وجود الأفعال للطبيعة.

بيّن من هم وبم يعرفون ؟

وخلاصة القول في هذا المضمار أن العقل يكشف عن خلل كبير في الرؤية الكلية التي أنبنت عليها العلوم الحديثة. فإذا كان الله تعالى بقدرته العظيمة قد خلق هذا الكون البديع أفليس من السهل عليه وهو الذي خلق الكون بهذه الدقة الفائقة– أن يكون مدبراً عالماً بما يجري فيه، يقول تعالى:﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾(الملك ١٤)

أما التيار الثاني في الفكر الغربي فقد ألغى التمايز بين عالم التنزيه الإلهي وعالم الخلق؛ إذ أنكر العالم الإلهي وعزى كل شيء إلى الطبيعة. وهذا الرأي الإلحادي قد شابه رأياً قديماً في وحدة الوجود وإلغاء الفوارق بين الخالق وخلقه، وجعل الكون والطبيعة هي بعينها الخالق العظيم– تعالى الله عما يقولون، وقد ناهض علماؤنا الأقدمون هذا الاتجاه الإلحادي وهاجموه بشدة. [1] إذ ليس من المعقول في حكم العقل أن يخلق أحد شيئاً ثم يتحد معه في الذات؛ والله من صفاته أنه متكبر متعال عن جميع خلقه كما وضح القرءآن وجاءت به السنة.

3.2 المصلحة والرحمة

خلق الله تعالى الكون رحمة للبشر وتلطفاً بهم ومن أجل منافعهم ومصالحهم؛ قال تعالى

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا (البقرة ٢٩)﴾

أي جعل لكم وتفضل عليكم وأنعم بكل ما في الأرض، وهذه الآية دليل على أن الأصل في الأشياء الإباحة حتى يقوم الدليل على الحظر[2]؛ بمعنى أن الله قد خلق كل الأشياء لمصلحة العباد ومنفعتهم – إلا أنه إذا بيَّن حرمة بعض الأشياء فإنها تصبح محرمة مع بقاء غيرها على

1 مجموع فتاوي ابن تيمية 82/2، 2/2،342/173.

2 الجامع لأحكام القرءآن : 251/11.

الحلال والإباحة. وقد خلق الله كل هذه الأشياء مع إمكان أن لا تخلق، ولكنه لما راعى مصلحة العباد؛ فقد خلقها لهم وهو الغني المستغني عن كل شيء[3] وهذا الأصل قد عَوّل عليه كثير من علماء الإسلام. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية " إن الأصل في جميع الأعيان الموجودة على إختلاف أصنافها وتباين أوصافها أن تكون حلالاً مطلقاً للآدميين، وأن تكون طاهرة لا يحرم عليهم ملابستها ولا مباشرتها ومماستها. وهذه كلمة جامعة ومقالة عامة وقضية فاضلة عظيمة المنفعة واسعة البركة يفزع إليها حملة الشريعة فيما لا يحصى من الأعمال وحوادث الناس"[4].

أسئلة تقويم ذاتي



1- ماذا نقصد بالكون ؟

2- ميّز بين الخبر والحس ؟

3- العالم التجريبي منسوب إلي التجربة التي هي الملاحظة الحسية من العلماء للظواهر الطبيعة في شروط معينة، بماذا يسمى هذا المنهج ؟

4- ما المقصود بكل من الآتي :

أ- كتاب الله المنظور.

ب- كتاب الله المسطور.

5- تحدث عن التيار المعتدل ؟

6- خلق الله الكون رحمة للناس. اكتب آية تدل على ذلك ؟

نشاط(2)



عزيزي الدارس؛ لإثراء معلوماتك وتوثيقها في هذا الجانب عليك بالرجوع إلي كتاب " الجامع لأحكام القرءآن "للقرطبي ".

3 الجامع لأحكام القرءآن: 251/11.

4 مجموع فتاوي ابن تيمية 535/21.

عزيزي الدارس، ورغم أن كل الأشياء قد خلقها الله لمصلحة عباده، إلا أنه ينبغي مراعاة الضوابط الشرعية حتى يمنع الإنسان –من شهوات نفسه– ما منعه الله تعالى، وحتى تسير اللَّذات والشهوات الإنسانية في هذا الكون وفق ما أراده. ولكن الفكر الغربي قد استباح كل شيء حتى ظهر الفساد في البر والبحر ولم يعد لإشباع رغبات الإنسان وشهوات نفسه من حدود ولا ضوابط ؛ إذ تعدى الإنسان– مراعاة لمصالحه–على مصالح الآخرين. أما الإسلام فقد كان على خلاف ذلك؛ إذ جعل اللَّذات والشهوات في هذه الدنيا على قسمين.

1– شهوات ولّذات أنكرها الشرع الحنيف وجعلها محرمة وهي تلك الشهوات التي لا ضابط لها.

2– شهوات ولذات ومصالح أقرّها الشرع وجعل قضاءها عملاً صالحاً، وهي تلك السائرة وفق حدوده وضوابطه. يقول ابن تيمية " إنما خلق الله سبحانه اللذات والشهوات في الأصل لتمام مصلحة الخلق، فإنهم بذلك يجتلبون ما ينفعهم كما خلق الغضب مثلاً ليدفعوا به ما يضرهم. وحرم من الشهوات ما يضر تناوله؛ وذم من اقتصر عليها ؛ أما من استعان بالمباح الجميل؛ فهذا من الأعمال الصالحة"[1].

4.2 التوازن

خلق الله الكون وجعله متوازناً بحيث لا يختل نظامه ولا يفسد؛ وهذا التوازن من شأنه أن يكون وفق قوانين إلهية كونية ضابطة، قال الله تعالى﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ۝٢﴾(الفرقان الاية٢) أي أعطى كل شيء هداه وصلاحه[2].

ويقول الإمام القرطبي: " قدر الله كل شيء على ما أراد لا عن سهوة وغفلة؛ بل جرت المقادير على ما خلق الله إلى يوم القيامة "[3].

---

1. مجموع فتاوى ابن تيمية 369/28.
2. الجامع لأحكام القرءآن 204/11.
3. المصدر نفسه.

وقد اقتضت حكمة الله أن يكون الخلق متوازناً، إذ خلق كل شيء بقدر وحكمة مرادة، وهذا التوازن يشير على وحدة الخالق جلَّ وعلا قال تعالى عن السموات والأرض ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (الأنبياء ٢٢)

ولكن لما يكن من إله غير الله– فقد صار الكون في توازن ونظام بديع. ويتجلى هذا التوازن في الكون في كلا الصعيدين: الطبيعي والإنساني؛ وتفصيل ذلك كالآتي:

أ–التوازن الطبيعي

لما كان الكون مخلوقاً لأجل الإنسان ومرتبطاً بمصلحته ارتباطاً وثيقاً– فقد ذهب علماؤنا الاقدمون إلى مناقشة قضية خلق الله للمؤذيات كالحيات والعقارب وغيرها[1]. ويذهب ابن تيمية إلى أن " جميع المخلوقات قد خلقت لغاية مقصودة... وهذا مما يبين أن الله قد خلق الأشياء لحكمة"[2].

والحق أن كل شيء فيه مصلحة وحكمة سواء خفيت هذه الحكمة أو ظهرت، وكلها تشير في نهاية المطاف إلى التوازن والمصلحة الكونيين. ومن المعلوم أن للصين تجربة في قتل الطيور التي عندما تم القضاء المبرم عليها من جهة تكاثرت الفئران من جهة أخرى فأحدثت فساداً أكبر مما كانوا يخشونه، وهذا يدل دلالة واضحة على التوازن الكوني.

ب– التوازن الاجتماعي والإنساني

ذكر الله تعالى في كتابه العزيز أنه قد جعل الكون متوازناً ومنع عنه الفساد بدفع قوة بعض الناس بقوة الآخرين؛ يقول الله تعالى:﴿ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٥١ ﴾ (البقرة 251)

---

1. ذهب الإمام القرطبي في رده على اعتراض بعض الملحدين على المصلحة في خلقه الحيات والعقارب – إلى أن الإنسان يتذكر ببعض مايرى من المؤذيات ما اعد الله للكفار وفي ذلك مصلحة واضحة (الجامع لأحكام القرءآن 252/1).

2. الفتاوي 369/28.

فالعالم ليس مسيراً بأهواء الناس وشهواتهم، وإلا وقع الفساد والإفساد؛ وإنما هو مسير بقدرة الله تعالى وتدبيره قال تعالى: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ ﴾ (المؤمنون كك)

ومعلوم أن تدخل الإنسان بغروره وطموح شهواته التي ليس لها حد ولا ضابط–في كل شيء في الكون سوف يقلب الكون عليه جحيماً لا يطاق.

5.2 الغائية وعدم العبث

ذكر الله تعالى في كتابه العزيز أنه ما خلق هذا الكون لاعباً أوعابثاً، وإنما خلقه لغاية وهدف وحكمة؛ قال تعالى:﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا ﴾(المؤمنون ككك)

وقال أيضاً: ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ (ص 27)

.وقال أيضاً:﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ١٦ ﴾ (الانبياء ككك)

وقال أيضاً: ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ٣٨ ﴾(الدخانكك)

تدريب(3)

1- إلي ماذا يشير هذا التوازن الموجود في الكون.

2- قال تعالى: " أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ". إلي أي شئ ترشد هذه الآية الكريمة ؟

نشاط (3)

راجع بحث بروفسير محجوب عبيد بعنوان–حول أسس التأصيل الإسلامي في مجال العلوم الطبيعية–صفحة"320".

ولا شك أن الإنسان إذا اقتصر على الكون المادي دون تجاوز ذلك بالنظر فإنه لا يمكن أن يدرك عظمة الله ولا قدرته؛ ولا حكمته من خلال هذا الكون؛ ويكون علمه بذلك علماً بظاهر الحياة الدنيا بصورة سطحية لا تعمق فيها؛ ولا تفكر ولا نظر.

ومعلوم أن الحس وحده لا يدرك أمراً كلياً؛ وإنما يدرك الجزئيات؛ والذي يدرك الكليات– كما ذكر العلماء[1]:هو العقل لا الحواس، كما أن العقل يتفرد عن الحس بأنه يدرك العواقب والمآلات وما وراء هذه الأمور الحسية[2].

ولأجل ذلك يجب إعمال العقل حتى يتمكن الإنسان من إدراك الحكمة الإلهية وراء خلق الله للكون. ومن الجدير بالذكر في هذا المضمار أن العقل–وإن كان يمكنه الوصول إلى الله ومعرفة حكمته من خلال الكون– إلاّ أن الله تعالى قد أنزل للبشر من النور ما به يمكن للعقل أن يرى الأشياء بوضوح. ولأجل ذلك كان العقل وحده ليس سبباً في السعادة والوصول إلى الله ؛ يقول ابن تيمية " الذكاء والفطنة لا يوجبان السعادة، ولا ينفع الإنسان ذلك شيئاً إلا أن يعبد الله وحده لا شريك له ويؤمن برسله واليوم الآخر "[3].

6.2 محدودية الأجل

خلق الله الكون من العدم ؛ فكانت لحظة الخلق هي البداية. ولما كان الكون حادثاً بعد أن لم يكن – فقد كان من الطبيعي أن تكون له نهاية يفنى فيها ؛ وبهذا المعنى جاء القرءآن وتكلمت السُّنة.ورغم أن ذلك أمراً ثابتاً في عقيدة المسلمين إلا أن العلم الطبيعى قد ساد فيه حتى منتصف القرن العشرين أن الكون أزلي دائم لا بداية له ولا نهاية [4]، ولكن تكشف لهذا العلم أخيراً ما يوافق ما جاء به القرءآن.

---

[1] مجموع فتاوي ابن تيمية 219/19.

[2] نفس المصدر 311/8.

[3] مجموع فتاوى ابن تيمية 58/18.

[4] بروفسير محجوب عبيد حول أسس التاصيل الإسلامى في مجال العلوم الطبيعية ص 320

7.2 محدودية علم الإنسان بالكون

من الثابت في الإسلام أن الإنسان مهما بلغ من العلم والمعرفة فإن علمه يبقى محدوداً قاصراً؛ قال الله تعالى﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥ ﴾(الاسراء ٨٥)

إلا أن الإنسان لغروره الكبير قد قيد الوجود بمعرفته فما عرفه فهو موجود وما لم يعرفه فهو غير موجود ؛ ولأجل ذلك كانت نظرية الوجود في الفكر الغربي تابعة لنظرية المعرفة وهذه مشكلة كبرى. يقول ابن تيمية متحدثاً عن إتجاه قديم شبيه بذلك "إنهم يظنون أن لا موجود إلا ما علموه هم... فإن عدم العلم ليس علماً بالعدم ؛ ولكن نفيهم كنفي الطبيب للجن لأنه ليس في صناعة الطِّب ما يدل على ثبوت الجْن ؛ وإلا فليس في علم الطِّب ما ينفى وجود الْجن. وهكذا تجد من عرف نوعاً من العلم وإمتاز به على العامة الذين لا يعرفونه فيبقى بجهله نافياً لما لا يعلمه ، وبنو آدم ضلا لهم فيما جحدوه ونفوه بغير علم أكثر من ضلالهم فيما أثبتوه وصدقوا به ، قال تعالى: ﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥ ﴾(يونس ٣٩) "؛ وهذا لأن الغالب على الآدميين صحة الحس "[1].

ولا يقتصر الأمر على الغيبيات المتعلقة بالكون؛ بل إن الإنسان قد يعجز عن إدراك ما تدركه الحواس؛ كما أن الحس نفسه قد يعرض له ما يوجب غلطه[2]. ومن الأمثلة على ذلك قضية تطور الجنين في بطن أمه وهى مسألة مادية حسية – زعم العلم المادي في أول أمره فيها: أن الإنسان يتكون من دم الحيض، ثم غير رأيه ليقول إن الإنسان يخلق كاملاً "قزماً " في الحيوان المنوي على صورته الإنسانية الكاملة، وفي القرن العشرين دحض التصوير كافة أراء العلماء وجاءت النتيجة كما قررها القرءآن؛ يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ

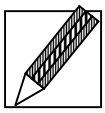
---

1. مجموعة فتاوى بن تيمية 5 / 271

2. إبراهيم محمود الرؤية القرءآنية كأساس للعلوم ص 343

مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤ (المؤمنون ١٢-١٤)

تدريب(4)



إن الحسَ لا يُدرِك الأمور كلياً وإنما يدرك الجزيئات فما الذي يدرك الكليات ؟

وتبيِّن هذه الآية كما يُبيِّنُ العلم أخيراً أن الإنسان يتكون على مراحل وأطوار هي:

(أ) مرحلة السلالة

السلالة في اللغة هي إنتزاع الشيء وإخراجه في رفق ؛ وقد تطلق السلالة في اللغة أيضاً على نوع من السمك طويل الذيل يشبه الحيوان المنوي إلى حد كبير [1].

(ب)مرحلة النطفة

النطفة في اللغة هي: القطرة ويتكون الجنين من قطرة ماء الرجل– بعد خروجها– وقطرة من ماء المرأة.

(ج) مرحلة العلقة

تطلق العلقة في اللغة على دودة في الماء تمتص دم الحيوانات التي تلصق بأجسامها وهذا الوصف والشكل منطبقان تماماً على الجنين في هذه المرحلة.

(د) مرحلة المضغة

تطلق المضغة في اللُّغة على شئ لاكته الأسنان وظهرت عليه آثارها. وهذا الشكل يظهر في الجنين في اليوم الثالث عشر والرابع عشر، وتظهر على هذا الجنين الفلقاتٍ"Somites" ومن المعلوم في العلم الحديث أن الجنين في هذه المرحلة تتشكل بعض أجهزته ويبقى البعض الأخر ليتشكل لاحقاً ولهذا قال تعالى: ﴿ مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ ﴾ (الحج الاية٥)

---

[1] مبارك محمد على المجذوب خلق الإنسان في القرءآن ص 386

(هـ) مرحلة العظام :

في هذه المرحلة يبدأ الجنين في أخذ المظهر الإنساني

(و) مرحلة الكساء باللحم:

في الأسبوع الثامن تأتى هذه المرحلة التي تتناسق فيها الأعضاء بصورة أدق[3]. وإذا كان الوحي الإلهي العظيم يمكنه مد المعرفة الحسية بأمور حسية من صميم إهتمامها، فمن باب أولى أن يمدها بما لا يمكن إدراكه إطلاقاً بالحواس من الغيبيات.

8.2 ارتباط العلم الكوني بالعقل

سبق أن الحواس يمكنها إدراك عناصر الكون المادية – إلا أنها تدرك الجزئيات لا الكليات والعواقب والمآلات؛ أي: أن الحكم على المدركات الحسية يرجع في نهاية المطاف إلى العقل؛ خاصة وأن الأمور الحسية لا تقدم التفسيرات بنفسها، كما أن علاقة التشابه والتقارب والسببية بين الأشياء ليست بذات صدق داخلي، وإنما هي أمور ترجع إلى العقل البشرى الذي يدرك هذه الأمور[1].

ولما كان الأمر كذلك فإن النظريات العلمية إنما هي أمور عقلية، وليس هنالك من دليل تجريبي واحد على صحة أي نظرية علمية– كما ذكر البروفسير محجوب عبيد فيما سبق. ولأجل ذلك فإن النظريات العلمية إنما هي مجرد فروض وخيالات ملائمة لتفسير الظواهر الطبيعية. ولكن إذا كان الوحي العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إلهي المصدر وموافقا لعالم الحس أيضاً إذ أن كلا الأمرين صادر من الله تعالى ألا يجدر بنا صياغة الفرض العلمي"Hypothesis" –على الأقل– من معطيات الوحي الكريم بدلاً من خيالات العلماء وأوهامهم التي ليس لها من دليل تجريبي واحد.

---

[3] مبارك محمد على المجذوب : خلق الإنسان في القرءآن374 – 394

[1] إبراهيم رجب : التأصيل الإسلامي للعلم الاجتماعية ص 67

9.2 ارتباط العلم الكوني بالغيبيات

إن الجانب المدرك بالحس من الوجود ليس هو كل شئ ؛ بل إن هذا الواقع المادي يرتبط ارتباطاً عميقاً بأمور غيبية ليس هنالك من طريق لمعرفتها إلا عن طريق الوحي العظيم. وقد أدرك الغربيون أخيراً أن الطريقة المادية التجريبية ما هي إلا طريقة واحدة فقط من بين عدد من التصورات الممكنة. وقد نظر مؤرخو العلم في بداية الأمر إلى العلم الحديث باعتبار أنه سلسلة مترابطة ومتراكمة من الانتصارات على الجهل والخرافة ، ولكن التطبيق العملي جعلهم يعيدون النظر في الطريقة الحسية التي اعتمدوها دون سواها. وذلك للآتي :

- إن العلم الآن يواجه مشكلات أخلاقية كبرى.
- هناك قوى خارجية كثيرة تضغط على العلم وتؤثر عليه دون أن يكون هنالك سبيل إلى إدراكها.
- إنَّ التطور التكنولوجي الهائل الذي لا ضابط له ولا أخلاق قد نجمت عنه مخاطر جمة يعود ضررها على الإنسان نفسه.

10.2 توافق الكون والوحي

سبق أن الكون مخلوق لله والوحي منزل من عنده كذلك. ولأجل ذلك فمن الطبيعي أن يكون هنالك توافق بينهما ما دام الاثنان من مصدر واحد. وقد سيطرت فكرة التوافق بين الوحي والكون على علمائنا الأقدمين فصرحوا بها كما سبق. وليس ذلك فحسب بل إن العلماء الذين قاموا بنقد المتن في الحديث قد اشترطوا فيه ألاَّ يكون مناقضاً للأمور الظاهرة في الكون وإلا ردوه. ولا شك أن الوحي –كما سبق– إنما جاء لإصلاح حال البشرية في الدنيا والآخرة، ولاشك أن ارتباط الدين بالدنيا وواقع الناس من شأنه أن يجعل الرابطة بين الوحي والكون الذي يعيش فيه الناس حياتهم الدنيا – قوية ووثيقة، وقد اشترط الفقهاء المعرفة بالواقع المعيش وسموا ذلك بـ"تحقيق المناط "، وذلك لأن الواقع الكوني سواء كان طبيعياً أو اجتماعياً له تداعيات ومآلات ومتغيرات لو لم يعرفها الفقيه خيف على الأحكام أن تنزل على غير ما وضعت له أو أكثر مما وضعت له أو أقل.

وخلاصة القول في هذا المضمار أن الوحي العظيم موافق لعالم الحس تمام التوافق بحيث لا يتناقضان ولا يتعارضان. وهذه القضية قد جرَّت بعض الباحثين المعاصرين إلى مأزق كبير وهو محاولة التوفيق بين معطيات الوحي ومعطيات العلوم الحديثة. ومعلوم أن الوحي كلام إلهي مطلق الصدق والصحة؛ والعلوم الحديثة ليست كذلك؛ بل منها ما ثبت صدقه ومنها ما لم يتكشف سره إنكشافاً تاماً ومنها النظريات التي لا دليل على صدقها ولا سبيل إلى تكذيبها بواسطة المنهج التجريبي حتى الآن على أقل تقدير. ولهذا فإننا نقول بشكل لا يقبل التنازل أن العلوم يجب أن تكون ثمرة من ثمرات القرءآن وليس مجرد شاهد على صحته، إذ أن محاولة البحث عن الشواهد العلمية المثبتة لصحة القرءآن تقود مباشرة إلى التوفيق والتلفيق كما سيأتي.

11.2 تفاوت الخلق

ذكر الله تعالى أن الأشياء الكونية متفاوتة الخلق حيث أن بعض المخلوقات أعظم من الأخر، وهذا التفاوت ليس متعلقاً بقدرة الله تعالى، إذ أن خلقها لديه واحد ، ولكن هذا التفاوت يتعلق بالمخلوقات في أنفسها، وليس الإنسان بأعظم خلقاً مما سواه ، يقول الله تعالى:

﴿... أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ (الصافات ٤٤)

وقال أيضاً: ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ ﴾ (النازعات ٢٧)

وهذا الأمر يدل دلالة واضحة على أن الإنسان ليس أعظم المخلوقات خلقاً؛ وإنما هنالك من المخلوقات ما هو أعظم وأعقد، ولكن الإنسان ينظر إلى نفسه ويجهل لغروره قدرة الله تعالى التي لا تحدها حدود. ورغم هذا التفاوت الواضح بين المخلوقات إلا أنها جميعاً –كما سبق عند الله– يسيرة وعلى درجة واحدة؛ وما خلق واحد من الناس عنده إلا كخلق الناس كلهم؛ قال تعالى:﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾(لقمان ٢٨)

12.2 إستخلاف الإنسان في الكون

جعل الله تعالى الإنسان خليفة له يحكم بالعدل بين خلقه. والمقصود بالخليفة الحق هنا الإنسان الذي يقوم بطاعة الله لا الذي يفسد في الأرض ويسفك الدماء[1] قال رسول الله (ص):"من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه"[2].

وقد علق الإمام القرطبي على ذلك بقوله: " هذه منقبة عظيمة وفضيلة كريمة شريفة ". ولا شك أنّ الاستخلاف في الأرض يقتضي الإعمار وتسخير الكون؛ قال تعالى ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾(هود ٦١)

وقال أيضاً:﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (فاطر ٣٩)

ولما كان الأمر كذلك فيجب على الإنسان أن يراعي أوامر من جعله خليفة له ويجتنب نواهيه في تعامله مع الكون ؛ وإلا فإن سعي الإنسان للفساد في الكون وسفك الدماء جرياناً وراء طموحه الذي لا ينتهي سوف يعود بالضرر على الإنسانية جمعاء كما هو حادث في الحضارة الغربية السائدة الآن.

13.2 إمكانية إدراك عناصر الكون

من الأمور الثابتة عند المسلمين كما سبق أن المعرفة ممكنة ؛ وليس هنالك من شيء يمنع الإنسان عن هذه المعرفة ، وقد أمر الله تعالى في كتابه العزيز بالسير في الأرض والتفكر في خلق السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾(يونس ١٠١)

وقال أيضاً:﴿ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (سبا ٩)

فهذه الآيات الكريمة تدعو للنظر والتفكر فيما خلق الله من شيء، ولو لم تكن المعرفة ممكنة ومتاحة لما كان لهذا الأمر الإلهي من معنى؛ وذلك محال.

---

[1]. تفسير القرءآن العظم 321/1

[2]. الجامع لأحكام القرءآن 47/4.

والحق أن المسلمين الأوائل قد تعاملوا مع هذه الأوامر تعاملاً جاداً، فأتوا بالمنهج التجريبي فترجموا هذه الأوامر الإلهية إلى منهج عملي. وقد أصبح المنهج التجريبي معلماً واضحاً من معالم الحضارة الإسلامية حيث استخدم في التعامل مع الطبيعة. ومن الذين طبقوا هذا المنهج التجريبي من الأطباء ابن الهيثم الذي استقرأ وتصفح وخرج بالنتائج. ومن علماء النبات ابن البيطار الذي ذهب إلى إثبات ما صح عنده بالمشاهدة والنظر والخبرة[1]، وغيرهما كثيرون.

ولا شك أن المنهج الإستقرائي "Induction" الذي يقوم بتصفح الجزئيات للخروج بالقاعدة الكلية التي تستند على العلية والإطراد قد كان أكبر خدمة قدمت من علماء المسلمين للبشرية جمعاء، يقول بريفولت " إن ما نسميه بالعلوم قد جاء نتيجة لمناهج في التجربة والملاحظة والقياس أدخلت إلى أوربا بواسطة العرب. إن العلم الحديث هو أكبر إسهامات الحضارة الإسلامية"[2].

وتقول زيغريد هونكة "إن المسلمين قد أسسوا الطرق التجريبية في أنواع العلوم، وقدموا إكتشافات كثيرة في فروع المعرفة. وبالإضافة إلى هذا قدموا للغرب أثمن هدية؛ وهي طريقة البحث العلمي الصحيح التي مهدت أمام الغرب طريقه لمعرفة أسرار الطبيعة"[3].

ولم يكن هذا المنهج الذي تفرد به المسلمون وأصبح فيما بعد أهم أساس من أسس التقدم العلمي في الغرب – قد أتى من فراغ أو أنشئ من العدم؛ وإنما كان ذلك بتأثير من الوحي الكريم. يقول الدكتور الزنيدي " كان المسلمون هم الذين أقاموا المنهج التجريبي، وأحدثوا التميز في طرائق البحث العلمي وكان ذلك بتأثير مباشر من القرءآن والسنة"[1].

---

(1) (الزنيدي مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي ص 512

(2) محمد الحسن بريمة : قضايا في إسلام المعرفة ص 9 (مخطوط)

(3) زيغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص 401ترجمة فاروق بيضون ط/ 3 المكتب التجاري بيروت 1979م

1. الزنيدي مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفيص 505

نشاط (3)



عزيزي الدارس، من المفيد أن ترجع إلي بحث البروفسير مبارك محمد علي المجذوب " في خلق الإنسان في القرءآن " صفحة "368 " مجلة تفكّر " لإكتساب معلومات أكثر في ما سبق ذكره.

أسئلة تقويم ذاتي



1- عدد المراحل التي يتطور ويمر بها الإنسان ؟

2- يواجه العلم مشكلات أخلاقية كبرى ، ما سبب ذلك ؟

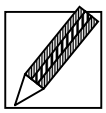
3- جاء الوحي موافقاً للعالم الحسي تمام التوافق.علّل.

4- هنالك آية تدل على أن الإنسان ليس أعظم وأشد خلقاً اكتب هذه الآية على ضوء ما قراءت في هذه الوحدة.

5- ما الأمر الذي من أجله استخلف الإنسان في الكون؟

6- كيف أسهم المسلمون في إقامة المنهج التجريبي؟

تدريب(5)



أكتب الآية التي توضح أن خلق الإنسان تم بمراحل عديدة؟

3. مصدرية الكون للعلوم

لما كان الكون مسخراً لمصلحة الإنسان ومهيأً له، فقد كان إدراك عناصره وجزئياته واستغلاله والاستفادة منه أمراً ضرورياً لا غنى عنه لكل البشر. ولأجل ذلك اتفقت النظريتان الإسلامية والعلمانية في هذا الجانب من المعرفة دون سواه ؛ إذ عدت كلا النظريتين الكون مصدرا أصيلا للمعرفة. وقد سبق القول أن النظرية الإسلامية في المعرفة أكثر اتساعاً من تلك العلمانية التي أبعدت الوحي إبعاداً تاماً عن مضمار المعرفة.إلا أن النظرية الإسلامية بخلاف ذلك؛ إذ آخت

بين الكون والوحي الذي يتيح للعقل البشري رؤية أكثر وضوحاً وثبوتاً، وهذا هو جوهر الخلاف بين النظريتين الإسلامية والعلمانية.

1.3 مصدرية الكون للعلوم الطبيعية

إن من خصائص العلوم الطبيعية أنها ذات سمة مادية وصفة حسية وترتكز على القياس والتجربة الحسية. ولما كان الأمر كذلك فإن طبيعة هذه العلوم قد ساهمت مساهمة فاعلة في توافق هذه العلوم، وإنسجامها مع المنهج التجريبي الذي عمل فيها بنجاح واضح خلافاً لتلك العلوم الاجتماعية والإنسانية التي تعثر فيها هذا المنهج تعثراً واضحاً.

ولا شك أن الحواس– وإن كانت تقوم بعملية الإدراك الحسي إلا أنها– كما سبق لا تستقل بتحصيل المعرفة؛ إذ أنها غير كافية في إدراكها، ولهذا فإن العقل البشري يتدخل بصورة مباشرة ليقوم بالترتيب والتنظيم و الاستنتاج، ومن ثم تحصل المعرفة.

ولا يقتصر دور العقل على ذلك فحسب بل أنه يقوم بالفروض اللازمة لتفسير المادة من جهة، وبناء النظريات العلمية التي هي خيال ملائم من جهة أخرى.

وإذا كانت الفروض العلمية والأطر الأخلاقية الموجهة لتلك العلوم تحتاج إلى هدى الوحي بصورة لا تخفى – فإن إدراك الجزئيات ومعرفة خصائصها من خلال الكون باعتباره المصدر المادي للمعرفة أمر تتفق فيه النظريتان الإسلامية والعلمانية ولا يختلفان إطلاقاً في شأنه. ولما كان الكون مصدراً للمعرفة، حيث استعين به في معرفة جزئيات المادة وخصائصها وكيفية استغلالها والاستفادة منها، فإن ذلك قد منح العلوم الطبيعية قوة وجعلها في تقدم مستمر وازدهار متنام. إلا أن الإطار الخلقي لهذه العلوم قد ظل خاضعاً للأهواء والنزعات الإنسانية الفوضوية.

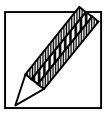
ولا شك أن من الأمور الثابتة التي لا خلاف عليها أن الكون قد شكل مصدراً في غاية الأهمية لهذه العلوم ، إذ أنها ما قامت أصلاً ولا نشأت إلا لدراسته ومعرفة طرق الاستفادة منه إلى أبعد حد ممكن.ولا شك أن هذه العلوم إذا تم ضبطها وتأطيرها بالوحي العاصم من الزلل– فإن ذلك من شأنه أن يعود بالسعادة على البشرية أجمع.

2.3 مصدرية الكون للعلوم الاجتماعية

إن العلوم الاجتماعية والإنسانية تختلف اختلافاً واضحاً عن العلوم الطبيعية؛ وذلك لأن معطيات العلوم الاجتماعية والإنسانية غير قابلة للتجريب كمعطيات العلوم الطبيعية ، ولهذا تعثر تطبيق المنهج التجريبي فيها بصورة كاملة.

وإذا كان الكون مصدراً أصيلاً للمعرفة لا خلاف عليه فإن الخلل المنهجي ليس في اعتماد الكون مصدراً للمعرفة ؛وإنما هو في الاقتصار عليه وإبعاد الوحي. إذ ليس من المعقول إطلاقاً أن يستبعد الهدى الرباني في علوم تحاول توجيه الإنسان وتضبط سلوكه من ناحية، بينما طبيعة هذه العلوم من ناحية أخرى ليست مادية، بحيث تخضع للفحص في طاولة التشريح ؛ بل إن طبيعتها قيمية بالدرجة الأولى، الأمر الذي جعل المنهج التجريبي غير متناسب معها تناسبه مع العلوم الطبيعية ذات الصفة المادية والصبغة الحسية.

تدريب(6)



وضح الفرق بين العلوم الإنسانية والاجتماعية والطبيعية من حيث معطيات كل منهما؟.

الخلاصة

عزيزي الدارس ، نأتي إلى نهاية هذه الوحدة والتي هي بالطبع نهاية هذا المقرر الدراسي فنوجز مضمونها في الآتي :

- إن الكون مصدر للمعرفة ماثل بين أيدي الناس لا يكاد يشك في ذلك أحد. ولهذا اتفقت النظرة الإسلامية والنظرة الغربية في عده مصادر للمعرفة.
- من خصائص الكون أنه مخلوق لله تعالى، وهذه حقيقة أقر بها المؤمنون والكفار على السواء كما ذكر القرءآن. وإن كان هنالك اتجاه في الفكر الغربي قد عاند فأنكر وجود الله وخلقه للكون.
- إن الله مدبر لهذا الكون ومصرف لشؤونه وهذه فكره ثابتة عند المسلمين، إلا أن الغربيين قد أنكروا تدبير الله تعالى للكون فانقسموا فريقين: فريق أقر بالخلق وأنكر التدبير وفريق أنكر الخلق والتدبير معاً.
- خلق الله الكون لمصلحة عباده ولهذا وجب التعامل مع هذه المصالح وفق ما أراد الله.كما خلق الله الكون متوازناً غير مختل ؛ وحفظ له هذا التوازن ولهذا نجد أنه خلق هذا الكون لهدف وغاية ولم يخلقه عبثاً ولعباً. كما إن هذا الكون ليس أزلياً خالداً وإنما له أجل محدود ينتهي به، وهذه حقيقة ذكرها الله في القرءآن، واكتشفها العلم حديثاً بعد أن ظل طويلاً يظن أن الكون أزلي خالد.
- إن علم الإنسان بالكون محدود. ولهذا يجب على هذا الإنسان أن لا يعد العدم ما لم يعرفه والوجود ما عرفه بل إن في الوجود أشياء كثيرة يجهلها الإنسان.
- يرتبط الكون بأمور غيبية كثيرة، وقد أحس الغربيون أنفسهم بذلك ولهذا يطالب بعضهم بتغيير مفهوم العلم الضيق.
- الكون موافق للوحي بحيث لا يتعارضان ولا يتناقضان وموافقة الكون التامة للقرءآن ليست هي بالضرورة موافقة القرءآن للعلوم الحديثة ، إذ أَّن القرءآن ذو صدق مطلق، والعلوم الحديثة ليست كذلك؛ بل هي لا زالت قاصرة عن إدراك الكون حسب ما يرى العلماء أنفسهم.

- خلق الله الأشياء في الكون خلقاً متفاوتاً، وهذا التفاوت يتعلق بالأشياء في أنفسها ولا يتعلق بقدرته ، إذ أن خلقها جميعاً تحت قدرته واحدة.
- جعل الله الإنسان خليفة في الأرض ولهذا يجب على هذا الإنسان أن يعمل بمقتضى أوامر من جعله خليفة.
- أقام المسلمون المنهج التجريبي الذي عليه قامت الحضارة الغربية وهذا أكبر دليل على إحسان المسلمين للتعامل مع الكون.
- اتفقت النظريتان الإسلامية والغربية على عدّ الكون مصدراً للمعرفة.
- أنَّ كل العلوم سواء كانت طبيعية أو اجتماعية وإنسانية في حاجة ماسة إلى هدى الوحي وإرشاده وإنْ كانت حاجة العلوم الاجتماعية أكبر وأعظم.

إجابات التدريبات

التدريب(1)

1- يدل خلق الكون على بديع صنعة الله وعظيم قدرته.

2- ترشد الآية للسير في الأرض والنظر في الكون والتدبر في المخلوقات سواءً كانت هذه المخلوقات في الأرض أو في السماء.

3- الحس والخبر

التدريب(2)

هم الذين عاندوا الفطرة وقالوا إن الكون لا يدل على وجود الله وعزوا كل أفعال الله للطبيعة. ويسمون بالملاحدة.

التدريب(3)

1- يشير التوازن في الكون إلي وحدة الخالق جلا وعلا ، قال تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (الانبياء ٢٢) تدل الآية الكريمة على أن الله لم يخلق هذا الكون عبثاً ولعباً وإنما خلقه لغاية وهدف وحكمة.

التدريب(4)

العقل هو الذي يدرك الكليات دون الحواس.

التدريب(5)

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾

(المؤمنون ١٢-١٤)﴾

التدريب(6)

الفرق بين العلوم الاجتماعية و الإنسانية والطبيعية هو أن معطيات العلوم الاجتماعية والإنسانية غير قابلة للتجريب كمعطيات العلوم الطبيعية.

المصادروالمراجع

1- القرءآن الكريم

2- العقيدة الأصفهانية ، مكتبة الرشد ، **الرياحين** 1415هـ.

3- ابن تيمية(1404هـ)**مجموع الفتاوى** ، تحقيق عبد الرحمن بن محمد.

4- الرازي: **مختار الصحاح** ، تحقيق محمود خاطر ، مكتبة لبنان 1995.

5- ابن القيم:

- **بدائع الفوائد**، تحقيق هشام عطا ، مكة 1996م.

- **مدارج السالكين**، تحقيق الفقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1973م.

6- إبراهيم أحمد عمر: **العلم والإيمان، مدخل إلى نظرية المعرفة في الإسلام**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1992م.

7- القرطبي **الجامع لأحكام القرءآن**.

8- إبراهيم محمود – **الرؤية القرءآنية كأساس للعلوم**.

9- عبد الرحمن الزنيدي(1992): **مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ومكتبة المؤيد، الرياض.

10- محجوب عبيد طه، **حول أسس التأصيل الإسلامي في مجال العلوم الطبيعية**.

11- مبارك محمد علي مجذوب – **خلق الإنسان في القرءآن**.

12- محمد الحسن بريمة – **قضايا في إسلام المعرفة**.

رقم الايداع 2003/182